الحكم والأمثال والنصائح

عند المصريين القدماء

محرم كمال

الكتاب: الحكم والأمثال والنصائح عند المصريين القدماء

الكاتب: محرم كمال

الطبعة: ٢٠١٧

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ – ٣٥٨٦٧٥٧٦ – ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

APA

http://www.apatop.com E-mail: news@apatop.com

دار الكتب المصرية

فهرسة إثناء النشر

كمال ، محرم

الحكم والأأمثال والنصائح عند المصريين القدماء /

محرم كمال – الجيزة – وكالة الصحافة العربية

تدمك : ١- ١١٣ – ٤٤٦ –٩٧٧ –٩٧٨

.. ص ، .. سم .

رقم الإيداع / ١٠١٢٢

الحكم والأمثال والنصائح

عند المصريين القدماء





مقدمة

للمصريين القدماء أدب رفيع وآثار أدبية رائعة، خلفوها لنا مسطورة على أوراق البردي، وغيرها، ولدينا من ذلك ذخيرة كبيرة حقاً، تناولها العلماء المحدثون بالترجمة والشرح والتعليق.

أدب القصة:

فهناك أدب القصة، نجده في ذلك العدد الوافر من القصص، وفي بعضها يتحدث بطل كثير الأسفار عن مخاطراته، كقصة البحار الغريق، وما تعرض له من أخطار في جزيرة الثعابين الخرافية.

وقصة "سنوهي" التي ذاعت شهرتها واستفاضت قروناً عدة، وهي تصف هروبه من البلاد وقضاءه عشرات السنين بين رجال البدو السوريين، وما ناله من حظوة هناك لدى زعيمهم الذي زوجه من ابنته الكبرى وأعطاه قطعة أرض من خير أملاكه. فلما أدركته الشيخوخة كان يتحرق شوقاً للعودة إلى بلاده مصر، فكتب ملتمساً للملك بذلك لكي يسمح له بالعودة إلى مصر "ليرى المكان الذي يتجه قلبه إليه لأنه ليس هناك ما هو أعظم من أن يدفن جسد المرء في البلد الذي ولد فيه"، وقد تحققت أمنيته وعاد مكرماً إلى بلاده.

ومن القصص البديع أيضاً قصة الفلاح الفصيح، الذي ظلم وسلب منه بعض متاعه، فقدم شكاوى تفيض بالفصاحة، يقول فيها:

"انظر! إنك لرئيس وبيدك الميزان

فلا تدع الميزان يختل

وإن لسانك هو ذلك اللسان الصغير للميزان

وقلبك هو تلك الصنجة

وشفتاك هما قب الميزان

فإذا سترت وجهك عن الظالم

فمن ذا الذي يمكنه أن يرد العار

أنت تصنع العدل

وتصنع كل طيب وتبيد كل خبيث

أنت تجيء كالشبع، وبمجيئك ينتهي الجوع

أنت تجيء كالثياب، وبمجيئك ينتهي العري

أنت كالسماء الهادئة بعد عاصفة هوجاء

تعطي الدفء لمن أصابه البرد

أنت كالماء تروي الظمأ" [١]

ولسنا نريد أن نتوسع في الحديث عن أدب القصة، فنذكر شيئاً عن قصة الملك خوفو والسحر، أو قصة الأمير المنحوس، أو قصة الأخوين "أنبو وباتا" فإن لذلك مجالاً آخر.

الأدب التهذيبي: أدب الحكمة

وموضوع الحديث في هذه الرسالة يتناول الأدب التهذيبي للمصريين القدماء، وهو أدب الحكمة والموعظة الحسنة، نريد أن نقدم منه للقاريء نماذج نبسطها في إيجاز وفي إطار يهيء لها الجو الذي كتبت فيه.

فهذه الحكم والأمثال تبدأ عادة بكلمة "سبويى" كعنوان لها. وهذه الكلمة المصرية القديمة معناها: "درس أو تعليم"، ويقصد بها تعليم حكم الحياة وآداب السلوك، وهي غالباً ما تكون نصائح موجهة من والد خبر الحياة، وذاق حلوها ومرها، يصوغ تجارب حياته التي اكتسبها بعد خبرة طويلة في عبارات بليغة موجزة، ويسوقها إلى ابنه لكي يعمل بها، وينسج على منوالها، حتى يحقق لنفسه النجاح والفلاح في حياته المستقبلة.

حكم كاجمني:

ولعل أقدمها هي حكم "كاجمني" التي ضاع للأسف الجزء الكبير منها، ولم يتبق منها إلا شذرات أوردناها في هذه الرسالة.

حكم بتاح حتب:

بيد أن أقدم نص موجود في أدب العالم القديم كله عبر في قوة وبلاغة عن قواعد السلوك المستقيم هو حكم "بتاح حتب"، وهي بما في مادتها من غزارة تلخص لنا مقداراً كبيراً من أدب ذلك العصر.

فإن "بتاح حتب" عندما شعر بتقدمه في السن أراد أن يعلم ابنه الحكمة، وأن يعده للقيام بأعباء الواجبات الحكومية، حتى يساعده في حياته ويخلفه في وظيفته بعد موته.

ونحن إذا قرأنا هذه الحكم واستوعبنا ما فيها لرأينا أن أكثر من نصفها يتحدث عن أخلاق الإنسان وسلوكه، وما بقي منها يتناول شئون الإدارة وواجبات الإنسان في وظيفته الرسمية.

وإننا لواجدون أن الروح التي تسيطر على فلسفة نصائح ذلك الوزير المحنك هي شدة اهتمامه بالأخلاق والقيم الخلقية.

وأبرز ما يلفت النظر فيها هذه العبارة البليغة: "حصِّل الأخلاق وارِع الحق وأعمل على نشر العدالة، وعامل الجميع بصدق"، وهو يؤكد مراراً أن أعظم فضيلة دائمة يتحلى بها الإنسان في الحياة هي العدالة والخلق العظيم، لأنها باقية وذكراها لا تزول".

وبذلك نرى أن المفكرين المصريين الاجتماعيين كانوا يجدون في البحث عن المثل العليا للخلق العظيم برزانة وتدبر، وقد أدى بهم ذلك إلى تصورات سامية ونبيلة حقاً.

تحذيرات "ايبوور":

ولقد كان بين المصريين مفكرون اجتماعيون أحسوا بالحاجة إلى وجود حاكم عادل في بعض عصورهم، وساءهم ما وصلت إليه حالة البلاد من فوضى اجتماعية، وتطلعوا إلى نهضة يتجدد بها المجتمع، وترقبوا عصراً ذهبياً يأتي به الإصلاح المنشود.

وذلك كله يتجلى في تحذيرات "ايبوور" التي تصف حالة ذلك العصر، وتنتهي بالنصيحة والتحذير من الإهمال في الأخذ بسبل الإصلاح.

وإننا لواجدون في تلك التحذيرات صوراً قائمة تدل على عمق تأثر هذا الحكيم بما يحل بالبلاد. انظر إلى قوله: "ليت الناس يفنون، فلا يحدث حمل ولا ولادة، وليت البلد تخلو من الغوغاء حتى يقضى على الشجار".

وإلى قوله: "ليتني رفعت صوتي في ذلك الوقت، حتى كنت أنقذ نفسي من الألم الذي أنا فيه الآن، فالويل لي، لأن البؤس عم في هذا الزمان".

ولكنه مع ذلك لا ييأس، وإنما يتطلع إلى المستقبل في أمل وثقة، ويسوق في النهاية أهم فقرة في مقاله، وهي فقرة يعدها كثير من العلماء من أروع ما دُوِّن في الأدب المصري القديم كله، لأنها تصوِّر الحاكم العادل الذي لا يحمل في قلبه شراً، ويجول بين رعيته كالراعي يجمع شتات قطيعه المتناقص الظمآن. إذ يقول: "إنه يطفئ لهيب الحريق الاجتماعي ويقال عنه إنه راعي كل الناس، ولا يحمل في قلبه شراً، وحينما تكون قطعانه قليلة العدد فإنه يصرف يومه في جمع بعضها إلى بعض".

نصائح "مري كارع":

ونحن نجد الحكمة والعقل الراجح أيضاً في تلك النصائح التي وجهها ملك أهناسي إلى ابنه المدعو "مري كارع"، كما تبرز في هذه النصائح فطنة ذلك السياسي الكهل في سياسة البلاد الداخلية بوجه خاص حينما يوصي باتباع سياسة المهادنة والتعاون في معاملة أسر الأشراف، ويوصي في الوقت نفسه بالبحث عن

الكفايات المغمورة، وتكوين جيل جديد يمكن استخدامه ضد رجال الإقطاع القدامى.

كما أن التفكير العميق في القيم الباطنة يتجلى في تلك العبارة التي ساقها هذا الملك المسن لابنه، وعدَّها بعض العلماء من أنبل ما جاء به التفكير الخلقي في مصر القديمة، وهي أن يستقر في ذهن هذا الابن: "أن فضيلة الرجل المستقيم أحب عند الله من ثور الرجل الظالم أي من قربان الرجل الظالم"، فنحن هنا نجد اعترافاً صريحاً بقيمة الحياة الصالحة في نظر الإله، وهو الذي لا يقبل أن تقوم الهدايا عنده مقام الأخلاق.

وفي هذه النصائح أيضاً تفكير عميق في الحياة الآخرة، وتذكير بالبعث ويوم الحساب، وتشبيه لعمر الإنسان مهما طال بأنه يمضي وكأنه ساعة واحدة، ثم يحاسب الإنسان عما أتاه من عمل، فإن كان صالحاً حسنت آخرته ودخل في زمرة الخالدين الأبرار.

الحياة الآخرة ويوم الحساب:

وكما ورد ذكر الحياة الأخرى ويوم الحساب في هذه النصائح، فإن ذكرها قد ورد في صورة واضحة فيما كان يقوم به المتوفى من إنكار لعدة خطايا في يوم الحساب[1].

---

(1) كان المصريون القدماء يعتقدون أن الإنسان بعد موته يحاكم أمام محكمة مكونة من الإله أوزيريس رئيساً واثنين وأربعين قاضياً وتوضع أعماله ممثلة بالقلب فى كفة ميزان والعدل"الحق" مرموزاً بريشة فى الكفة الأخرى فإذا رجحت كفة الأعمال الصالحة وأثبت المتوفى براءته من الخطايا والسيئات، انتهت محاكمته أمام أوزيريس، وخرج من قاعة العدل، ودخل مملكة أوزيريس واعتبر من الصالحين الأبرار، الذين يستمتعون بما ادخرته لهم جنات النعيم من مباهج وأفراح وأنهار تجدف الأرواح فى مجاريها السماوية، وتجلس على عروش وسط الآلهة الذين يلتقون حول الشجرة المقدسة، على مقربة من بحيرة ساحة السلام، تستنشق النسيم تحت وارف ظلال الأشجار الباسقة، وتلعب الألعاب التى تهواها، وتأكل خبزاً لا يتعفن، وتشرب خمراً لا يفسد فهنيئاً لهم، وتلك عقبى الصالحين.

فهو يقول إنه:"لم يرتكب أية خطيئة ضد الناس، وإنه لم يفعل ما يمقته الإله، وإنه لم يترك أحداً يتضور جوعاً، ولم يتسبب في بكاء أي إنسان، ولم يأمر بالقتل، ولم يتسبب في شقاء أي إنسان، ولم يغتصب الطعام، ولم يسرق، ولم ينطق بالكذب، ولم يغش، ولم يسب، ولم يتكبر، ولم يرتكب الزنا.

وإنه لم يعذب الأرملة، ولم يكذب أمام القضاة، ولم يعرف الخيانة، ولم يدنس الأشياء المقدسة، ولم يسع في ضرر العبد عند مولاه، ولم يغتصب اللبن من أفواه الرضعاء، وإنه "طاهر طاهر طاهر".

فهذا الإنكار[1] لكل هذه النقائص وغيرها يرينا إلى أي حد كان المصري حريصاً على الابتعاد عن الرذائل و التنصل منها على الأقل في يوم الحساب، ويرينا القيم الخلقية التي كان يدين بها المصري، وما يعتبره مثلا عليا يجب اتباعها، ومنهاجاً قويماً لحسن السلوك في الدنيا والآخرة.

ولا يقتصر أمر المتوفى عند تقدمه إلى المحاكمة في يوم الحساب على مثل هذا الإنكار، وإنما ينتقل إلى دور إيجابي فيقرر أمام الإله "أوزيريس" أنه:

"قد فعل ما يقول به الناس، وأرضى الإله بما يرغب فيه، وأعطى الجائع خبزاً ، والصادي ماء، والعريان لباساً، وقدم قرباناً مقدساً للإله، وقرباناً من الطعام للموتى".

ثم هناك صور هامة في هذه المحاكمة في يوم الحساب، ألا وهي وزن أعمال المتوفى ووضعها في ميزان يقام لهذا الغرض فمن رجحت كفته بما أتاه من عمل صالح دخل الجنة، ومن اتضح سوء عمله وتوفر خطاياه ألقي به إلى حيوان فظيع "كان يأكل الأحشاء في يوم الحساب الكبير".

---

[1] يطلق عليه بعض العلماء "الاعتراف السلبى" وإن كنا نفضل هنا استعمال كلمة "الإنكار" أو التنصل فهى أدق من حيث المعنى.

إن نشأة الاعتقاد بأن النعيم في جميع صوره يتوقف على ما للإنسان من الصفات الخلقية في الحياة الدنيا تعد من الخطوات الهامة الخطيرة كما قال العالم "برستد"، كما أن الاعتراف بالحساب في الآخرة وبحاجة الإنسان إلى قيم خلقية يتصف بها في الحياة الآخرة يعد في الواقع أمراً عظيم الأهمية، وهو نقطة تحول من الارتكان على العوامل الظاهرية الخارجة عن شخصية المتوفى، إلى الاعتماد على القيم النفسية الباطنة، وبذلك بزغ فجر عقيدة خلود الروح لأول مرة على عقول البشر، باعتبار الأبدية أمراً يحصل عليه الإنسان بالروح لا بالجثمان.

حكم "أمنمولي":

لقد ورد في "سفر الأمثال" تصوير عظيم للأخلاق السامية، فضلاً عما احتواه من حكمة خلقية نافذة، ونحن إذا بحثنا أمر كتاب الأمثال لوجدناه مجرد مؤلفة جمعت من مجموعات متفرقة. ويقرر شيخ المؤرخين، العالم الأمريكي "برستد" **Brested** أن: "جميع العلماء بكتاب العهد القديم الذين يُعتد بآرائهم وأبحاثهم فيه يجزمون الآن بأن محتويات ذلك الجزء الذي يؤلف نحو فصل ونصف فصل "كتاب الأمثال" قد أخذ معظمه بالنص عن حكم الحكيم المصري القديم "أمنموبي" أي أن النسخة العبرانية هي تقريباً ترجمة حرفية عن الأصل الهيروغليفي العتيق. وكذلك صار من الواضح أيضاً أن حكم "أمنموبي" شائعة في مواضع عدة من كتاب العهد القديم، حيث نراها مصدراً لتلك الأفكار والتشبيهات والمقاييس الخلقية، وبخاصة لروح الشفقة الإنسانية الحارة، لا في كتاب الأمثال فحسب، بل في القوانين العبرانية وفي سفر "أيوب" وسفر شاؤول وإرميا كذلك".

فبينما تبدأ حكم "أمنموبي" هكذا:"أمل أذنيك لتسمع أقواله، واعكف قلبك على فهمها، لأنه شيء مفيد إذا وضعتها في قلبك". إذ تبدو كلمات سفر الأمثال العبراني كما يلي: "أمل أذنك واسمع كلام الحكماء، ووجه قلبك إلى معرفتي، لأنه حسن إن حفظتها في جوفك" "سفر الأمثال ٢٢،١٧– ١٨".

ولسنا نريد المضي في عقد هذه الموازنة في مواضع أخرى، فهي أكثر مما يمكن أن تتسع له صفحات هذا الكتيب جميعه، ولكن النتيجة التي نصل إليها من كل هذا هي النتيجة التي وصل إليها الأستاذ "برستد" من أن:

"النتائج الأساسية التي قامت وستقوم عليها دعامة المبادئ الخلقية في الحياة المتحضرة في أيامنا، كانت قد اهتدت إليها الحياة المصرية القديمة قبل الوقت الذي ابتدأ فيه العبرانيون تجاربهم في فلسطين بزمن طويل، كما كانت تلك المباديء الخلقية المصرية موجودة فعلاً في فلسطين بصورة مدونة منذ قرون عدة حينما استوطنها العبرانيون" و"إنه يجب ألا يفوتنا أن تلك المشاعر الخلقية التي تسود المجتمع المتمدين الآن ترجع في أصلها إلى عصر أقدم بكثير من "عصر النبوات" المعترف به من زمن بعيد، وأنها قد انحدرت إلينا نحن أهل هذا العصر الحاضر من عهد لم تكن فيه الكتابات العبرانية قد وجدت بعد، وعلى ذلك تكون مصادر تراثنا من التقاليد الخلقية بعيدة كل البعد عن انحصارها في فلسطين وحدها، وإنه يجب اعتبارها مشتملة كذلك على الحضارة المصرية".

وبهذه الكلمات والعبارات نود أن نقدم لكتابنا هذا، راجين أن يجد القاريء فيه لذة لنفسه ومتعة لروحه، ورسالة صدق وحكمة يرسل بها بعض رجال الفكر المصريين القدامي إلي الجيل الحديث، عبر آلاف من السنين مضت، وحقبات من التاريخ انقضت.



تمثال بديع من الحجر الجيرى الملون يمثل كاتباً متربعاً، وعلى ركبتيه ملف منشور من البردى سقارة – الأسرة (٤) – (محفوظ بالمتحف المصري)

حكم وأمثال

"كاجمني" و"بتاح حتب"

من أقدم آثار مصر الأدبية الخالدة، كتاب قديم كتبه الحكيم "بتاح حتب" في عصر الملك "اسيس"، أحد ملوك الأسرة الخامسة "٢٦٧٠ ق.م تقريبا".

يتضمن مجموعة كبيرة من الحكم والأمثال والنصائح التي كتبها الحكيم لابنه منذ نحو خمسة آلاف سنة، وهي تكفي لإعطائنا صورة واضحة عن حكمة مصر وآدابها ومثلها العليا في ذلك العصر القديم.

بردية بربس Prisse:

وقد وجدت نسخة من هذا الكتاب مكتوبة على ورقة من البردي، اشتراها عالم فرنسي يدعي "بريس" Presse D,Avennes من أحد الفلاحين في الأقصر، وأهداها إلى المكتبة الأهلية بباريس عام ١٨٤٧، حيث ظلت محفوظة بها حتى الآن.

ويبدو أن النسخة المذكورة قد نقلت في عصر الدولة الوسطى "الأسرة الثانية عشرة" عن أصل قديم.

ويبلغ طول هذه الورقة نحو ثمانية أمتار، وهي في حالتها الحاضرة تتألف من ثماني عشرة صفحة، مكتوبة كتابة واضحة، بالقلمين الأسود والأحمر، بالخط الهيراطيقي.

وهي تبدو، للنظرة الأولى، سليمة كاملة، لخلوها من التشقق والتلف الذي يصيب الكثير من الأوراق البردية والمخطوطات، ولكن الفحص الدقيق لمحتوياتها يظهر أن جزءاً لا يعرف مقداره قد مُزق من أولها.

وملف البردي كان يضم في الأصل كتابين على الأقل، لم يصل إلينا منهما إلا الجزء الأخير من أحدهما، أما الآخر فهو كامل تماما.

وكتابة البردية واضحة، يبدو فيها قدر كبير من العناية، ولكنها ليست صحيحة دائماً، وكأنما الذي قام بنسخها قد نقلها عن نسخة رديئة الخط، أو مختصرة اختصاراً كبيراً، مما جعله غير واثق دائماً من تهجئة الكلمات.

الكتاب الأول:

تعاليم "كاجمني"

وأول هذين الكتابين، وهو الذي لم يتبق منه سوى الصفحتين الأخيرتين، رسالة في آداب السلوك، سميناها هنا "تعاليم كاجمني"، ومنذ عثر على هذا الكتاب، نسبت التعاليم التي فيه إلى"كاجمني"، ولكن الفحص الدقيق لما تبقى منه يظهر لنا أنه لم يرد في هذا الكتاب ما يدل على أن "كاجمني" هو الذي قام بتأليفه.

والسبب في نسبته إلى"كاجمني" أن هذا الاسم هو الاسم الوحيد الذي ورد ذكره في ثنايا الكتاب، مما دعا علماء الآثار المصرية إلى الظن بأنه مؤلف الكتاب.

ومن الصعب أن نعتقد أن الوزير – الذي لم يذكر اسمه في الكتاب – والذي دعا أبناءه إليه هو "كاجمني"، إذ أنه لم يرفع إلى مرتبة الوزير وحاكم المدينة إلا بعد ذلك.

وإنما الجائز هو أن "كاجمني" كان أحد أبناء المؤلف.

بيد أنه لا توجد أهمية كبيرة لذلك، مادام تاريخ كتابة الوثيقة قد حدد فيها بنهاية عصر الملك "حوني" من أواخر ملوك الأسرة الثالثة.

ومن ثم فإن هذا الكتاب، الذي يتحدث عن مجتمع حظه من الرقي والترف غير قليل، يمكن أن يعد أقدم كتاب في العالم كله.

الكتاب الثاني

تعاليم وأمثال "بتاح حتب"

وقد تركت في الورقة البردية بعد ذلك مسافة بيضاء، يبدأ بعدها الكتاب الثاني الذي يتضمن تعاليم وأمثال "بتاح حتب"، ومن حسن الحظ أن هذه التعاليم وجدت كاملة لا ينقص منها شيء، وقد قسمت إلى أجزاء بكتابة حمراء.

وفي هذه التعاليم أيضاً نجد تاريخاً محدداً، فقد جاء في مقدمتها أن مؤلفها عاش في عصر الملك "اسيس".

ونحن نعلم أن "اسيس" كان أحد ملوك الأسرة الخامسة "٢٦٧٠ق.م تقريبا"، ومن ثم يكون قد مر على هذه التعاليم ما يقرب من خمسة آلاف سنة. ومن حسن الحظ أن نعثر على هذا الكتاب كاملاً دون أن يعتوره نقص، ومن أجل هذا فإننا نعده أقدم كتاب كامل في الأدب وصل إلينا.

وبالرغم من أن بعض النصوص الدينية قد وصلت إلينا من هذا العصر، إلا أنها لا تكشف لنا عن أحوال هذا العصر القديم كما تكشف لنا هذه التعاليم التي تتحدث عن أهداف عالية وتميط اللثام عن صورة حية رائعة، للحياة المنزلية والاجتماعية في الدولة القديمة.

فقرأ فيها عن أدب الحديث، وعن الغنى والفقر، وعن التواضع والجد في العمل وعن الزوجة التي يجب معاملتها برفق، وعن الصراحة والعنف، وعن الكرامة والبعد عن الأذى، وعن الصمت والقناعة، وعن الطاعة وحب الناس.

وهكذا تتوالى الصور أمام أعيننا، فنجد أنفسنا تارة نتناول الغذاء على مائدة أحد الأشراف، وقد التف الأضياف حولها، لا يجرأون على رفع أعينهم عن الطعام، ولا يتكلمون إلا إذا وجه الشريف إليهم الخطاب.

وتارة نكون في قاعة مجلس اكتظ بالموظفين، وسيطر على القاعة نظام دقيق، والحاكم يقوم على رأسها، يصغي إلى شكوي المظلوم، ويرد إليه حقه المسلوب.

وتارة نجد أنفسنا وسط جماعة من الناس يقتسمون أرضاً، بعضهم يحاول الحصول على أكثر من نصيبه، وعندما يعجز عن ذلك ينصرف غاضباً، ولكنه سرعان ما يندم على ما فعله. وهكذا تتتالى الصور وتمضي، كلها طريف، وكلها مليء بالحكمة والموعظة الحسنة.

من هما "كاجمني" و"بتاح حتب"

علي أننا لا نعلم عن هذين الشريفين – اللذين ألفا هذه التعاليم ووضعا هذه الحكم والأمثال – شيئاً مؤكداً، ففي منف قبر لشخص يدعى "كاجمني" ظنه بعض الناس القبر المذكور لشخص لا يرجع تاريخه لأبعد من الأسرة الخامسة، على حين أن "كاجمني" صاحب تعاليمنا قد عاش في عهد الأسرة الثالثة.

وهكذا الحال مع "بتاح حتب"، فإن في سقارة مقابر لبعض أمراء يتسمون بهذا الاسم، عاش اثنان منهم في عهد الملك "إسيس"، ومن ثم فقد ظن البعض أن أحدهما لابد وأن يكون هو "بتاح حتب" صاحب هذه التعاليم.

بيد أننا إذا قارنا ألقاب كل منهما بما ورد من ألقاب في التعاليم لا نجد تطابقاً بينها، فضلاً عن أننا لا نجد في هذه القبور ذكراً لأية حكم أو أمثال.

ولذلك فنحن لا نستطيع الجزم بصحة هذا الرأي أيضاً أو نسبة هذه الحكم والأمثال لصاحب أحد هذين القبرين.

ولقد كان في نيتي أن أتناول هذه الحكم والأمثال بالبحث والتحليل، ولكن سرعان ما وجدت أن الأمر لا يقتضي شيئاً من ذلك.

لأن هذه الحكم والأمثال تسوق النصح في قدر كبير من الوضوح والبساطة يغني عن الشرح والتعليق.

وبـذلك نسـتطيع – ونحـن مطمئنـون – أن نتركهـا تـتكلم وتتحـدث عـن نفسها.

حكم وأمثال "بتاح حتب":

العنوان "في النسخة القديمة".

"تعـاليم حـاكم المدينـة، الـوزير بتـاح حتـب فـي عصـر ملـك مصـر العليـا والسفلي "أسيسي" المستمتع بحياة خالدة أبدية".

المقدمة "في النسخة الحديثة"

هكذا قال – بتاح حتب – لجلالة الملك "أسيسي"

"لقد أقبلت الشيخوخة، وبدا خرفها، وسرت الآلام في الأعضاء، وتبدى الهرم وكأنه شيء جديد، وذهبت القوة وحل محلها الضعف والهزال، وصمت الفم وتوقف عن الكلام وغارت العينان، وأصبحت الآذان صماء، وأمسى القلب كثير النسيان، لا يذكر ما حدث بالأمس، وغدت العظام تقاسي من تقدم السن، وتوقف الأنف فأصبح ساكناً لا يتنفس[١]. وصار الوقوف والجلوس كلاهما شاقاً، وتحول الحسن إلى سيء، ولم يبق لشيء أي طعم، وتقدم السن جعل أحوال المرء سيئة في كل شيء.

فمرني حتى أتخذ لي سنداً في شيخوختي، وحتي أجعل من ابني خليفة لي، يحتل مكاني، فأعلمه عظات من يسمون، وآراء من سبقوا، وهم الذين خدموا السلف في العصور الماضية[٢]، ليتهم يعملون لك مثل ذلك، حتى يزول النزاع من بين الناس".

---

[١]كان المصريون القدماء يعتبرون الأنف مصدراً من مصادر الحياة.

[٢] يقصد وزراء الملوك السابقين، وهو يرجو بذلك أن يصبح ابنه مفيداً له كما الوزراء بالنسبة للملوك السابقين.

فأجاب جلالته:

"علمه العظة أولاً، حتى يكون قدوة لأولاد العظماء، ويتحلى بالطاعة، ويدرك كل رأي صائب ممن يتحدث إليه، فليس هناك ولد أوتي الفهم من تلقاء نفسه".

بدء الحكم والأمثال:

"هنا تبدأ أقوال الحكمة التي فاه بها الأمير، الأب المقدس، حبيب الإله، ابن الملك الحق، حاكم المدينة، الوزير "بتاح حتب" ساقها لتثقيف الجاهل، وليفقهه في فنون الحكمة والقول الحسن.

فلتكن مجداً وفخاراً لمن يعمل بها، وعاراً وشناراً لمن يغفلها.

قال مخاطباً ابنه:

لا تغتر بما حصلت عليه من العلم فتستكبر، ولا تتجبر، ولكن اجعل الأمر شورى مع الجميع.

شاور الرجل غير المتعلم كالمتعلم، لأنه ليس هناك حد للمعرفة، ولا رجل وصل إلى نهاية العلم بفنه، وإن القول الحكيم نادر وأكثر اختفاء من الحجر الأخضر الكريم، ومع ذلك فقد يوجد مع الإماء اللواتي يعملن على أحجار الطواحين[1]".

إذا وجدت رجلاً يتكلم، وكان أكبر منك وأشد حكمه، فاصغ إليه واحن ظهرك أمامه "دليلاً على الطاعة"، ولا تغضب إلا إذا تفوه بالسوء، وعندئذ سيقول عنه الناس: "تبا له من جاهل".

---

[1] يعنى بذلك أفقر الفقراء.

إذا وجدت رجلاً مساوياً لك يتجادل، وأثار حديث السوء فلا تسكت، بل أظهر حكمتك وحسن أدبك، فإن الكل سيثنون عليك، وسيحسن ذكرك عند العظماء.

إذا وجدت رجلاً يتكلم، وكان فقيراً، أي ليس مساوياً لك، فلا تحتقره لأنه أقل منك، بل دعه وشأنه، ولا تحرجه لتسر قلبك، ولا تصب عليه جام غضبك.

فإذا بدا لك أن تطيع أهواء قلبك فتظلمه، فاقهر أهواءك، لأن الظلم لا يتفق مع شيم الكرام.

إذا كنت في صحبة جماعة من الناس، وكنت عليهم رئيساً ولشؤونهم متولياً، فعاملهم معاملة حسنة حتى لا تُلام، وليكن مسلكك معهم لا يشوبه نقص.

إن العدل عظيم، طريقه سوية مستقيمة.

هو ثابت غير متغير، إنه لم يتغير منذ عصر الإله خالقه.

من يخالف القوانين يُعاقب، ومن استحل حقوق الناس حراماً، أخذ الحرام معه الحلال وذهب.

ما كان الشر يوماً بموصل مقترفه إلى شاطئ الأمان.

قد يحصل المرء على شيء من الثروة عن طريق الشر، ولكن قوة الحق تبقى ثابتة.

إن حدود الحق واضحة، والحلال بيِّن والحرام بيِّن، والمرء يفعل ما تعلمه من أبيه.

لا تنشر الرعب بين الناس، فهذا أمر يعاقب عليه الرب.

هناك من الناس من يقول: "ها هي الحياة قد أقبلت" فيمشي في الأرض مرحاً ويتكبر ويتجبر، فيجازى بالحرمان من خبز فمه.

وهناك من الناس من يقول: "ها هي سطوتي" ويخيل إليه أنه يستطيع أن يستولي على كل ما يخطر له بالباطل، وبينما هو يتشدق بذلك تنزل به النازلة، فلا يملك لها دفعاً، ولا لنفسه نفعا.

وهناك من يتحايل على الحصول على ما ليس له، ولكن المستقبل لا يهيئه أحد لنفسه، لأنه بيد الرب. فما من شيء هيئه المستقبل لا يهيئه أحد لنفسه قد وقع، وإنما يقع ما أمر به الرب.

فعش إذن في بيت الأمان والطمأنينة، قانعاً بحاضرك، واثقاً بمستقبلك، فيأتي الناس إليك من كل فج عميق برزق لك من حيث لا تدري ولا تحتسب.

عندما تجلس إلى مائدة أحد الكبراء فخذ إذا أعطاك مما هو موجود أمامك، ولا تنظر إلى ما وضع أمامه، بل انظر إلى ما وضع أمامك أنت.

ولا تصوِّب إليه نظراتك الكثيرة، لأن النفس"كا" تشمئز عندما يصطدم المرء بها.

وغُضَّ من بصرك حتى يحييك ولا تتكلم إلا إذا حياك.

أضحك عندما يضحك فإن هذا مما يبهج قلبه ويجعل ما تفعله مقبولاً لديه لأن الإنسان لا يعلم ما في القلب[1].

---

[1] أى يجب أن يكون الإنسان حذراً وهو فى حضرة الرجل العظيم إذ أن الإنسان لا يعرف طبائعة.

إذا جلس الرجل العظيم إلى الطعام فإن مسلكه وأعماله تجيء من وحي روحه فقد تمتد يده بالطعام إلى من يجلس بجواره وقد تتجاوزه إلى البعيد بوحي من الروح "كا".

والخبز يرزقه الرب لمن يشاء.

إذا كنت مكلفاً بأداء رسالة من أحد النبلاء إلى نبيل آخر، فأدها كما أخذتها تماماً، دون تحريف ولا تبديل.

ولا تثر عداوة بكلماتك، ولا تؤلب نبيلاً على نبيل بقلب الحقائق وإلباس الباطل ثوب الحق.

ولا تكن نمّاماً، فالنميمة تمجها النفس وتأباها الروح.

إذا كنت مزارعاً فاحصد نتاج حقلك، وسيبارك لك الرب فيه، ولا تملك فمك على مائدة جارك[٢].

لا تجعل الرجل الذي لا ولد له حسوداً، ولا تنبذه وتجعله مغموماً محسوراً لهذا السبب.

فالأب صاحب الولد قد يعتريه الهم بالرغم من عظم مكانته، وأم الأولاد كذلك نصيبها من راحة البال قليل، والرب هو الذي يخلق الإنسان ويقدر له نصيبه في الحياة.

إذا كنت وضيعاً فسر في ركاب رجل عظيم حكيم فتكون أعمالك مباركة أمام الرب.

---

[٢] ربما كان المعنى :"لاتطمع فيما هو لجارك".

وإذا عرفت رجلاً صغيراً ارتفع فصار عظيماً، فقدم له فروض التجلة والاحترام التي تتناسب مع المركز الذي وصل إليه.

اسمع يا بُني، إن الثراء لا يأتي وحده، إنه يفد على من يريده ويعمل له فإذا عملت له وسعيت وراءه، فإن الرب ينيلك إياه.

أما إذا قعدت وتوانيت وتمسَّكت بأهداب الكسل والخمول فإن الرب لك بالمرصاد، ينزل عليك غضبه وعقابه.

إذا أصبحت عظيما بعد أن كنت وضيعاً، وصرت غنياً بعد أن كنت فقيراً فلا تنسى ما كنت عليه في الماضي ولا تفخر بثروتك وتستكبر فإنك لست بأحسن حال من رفاقك الذين حل بهم الفقر.

إذا كنت رجلاً عاقلاً فليكن لك ولد، تقوم على تربيته وتنشئته، فذلك شيء يسر الآلهة.

فإذا اقتدى بك ونسج على منوالك ونظم من شئونك ورعاها، فاعمل له كل ما هو طيب، لأنه ولدك، وقطعة من نفسك وروحك.

ولا تجعل قلبك يجافيه، فإذا ركب رأسه ولم يأبه لقواعد السلوك فطغى وبغى، وتكلم بالأفك والبهتان، فقوِّمه بالضرب حتى يعتدل شأنه ويستقيم قوله، وباعد بينه وبين رفقاء السوء حتى لا يفسد.

أما إذا تحدى قولك فاطرده لأنه ليس ابنك، ولم يولد لك.

إذا كنت في مجلس، فاعمل طبقاً لما كلفت به أول يوم ولا تتغيب بل انتظر حتى يأتي دورك وعندئذ كن مستعداً للدخول دون دفع أو تزاحم فالمكان رحب وقاعة المجلس يسيطر عليها نظام دقيق، وتسير أمورها وفق خطة محكمة.

إنه هو الرب الذي يهب المرء مقعداً فيها يجزي به المستحقين ولا يناله المعتدون.

إذا كنت بين جماعة من الناس، فاجعل حب الناس هدفك ومنيتك، ومبتغى قلبك وهواك.

فيقول من يراك:"هذا هو رجل ناجح واتته الثروة فلأقلده" فيحسن ذكرك وينبه، دون أن تتكلم. ويعلو قدرك بين جيرانك، ويكتمل من أمرك ما ينقصه.

أما من يسير على هواه فلا يكون نصيبه إلا الاحتقار وهوان الشأن، وما هو ببالغ من حب الناس شيئاً، فيصبح قلبه مليئاً بالبؤس، وجسمه بغيضاً، ويغدو مرذولاً عند المؤمنين بالرب.

إن من اتبع هواه ضل، وله من نفسه عدو مبين.

كن صريحاً، ولا تخف من أعمالك شيئاً.

بل صارح بها رئيسك في مجلسه حتى ولو كان يعلم بها، فلا يضير المرء أن يقال له: هذا شيء أعلمه".

إذا كنت زعيماً على قوم، فتصرف في شئونهم بما تقضي به قواعد القوانين والأنظمة، ناظراً إلى ما يتأتى في قابل الأيام، عندما لا يفيد الكلام.

إذا كنت حاكماً، فكن عطوفاً مستأنياً عندما تصغي إلى شكوى مظلوم ولا تجعله يتردد في أن يفضي إليك بدخيلة نفسه، بل كن به رفيقاً ولحاجته قاضياً، ولظلمه مزيلاً رافعاً.

اجعله يسترسل في كلامه على سجيته حتى تقضي له حاجته التي أتى من أجلها إليك.

فإنه إذا تردد في أن يفضي إليك بما يجيش في صدره قيل: إن القاضي يظلم من لا يستطيع لظلمه دفعاً".

بيد أن القلب الحاني العطوف، يستمع ويصغي عن رغبة.

إذا كنت تريد أن تكون موفور الكرامة في أي منزل تدخله – سواء أكان منزل عظيم أم أخ أم صديق – فلا تقرب النساء، فما من مكان دخله التعلق بهوى النساء إلا وفسد.

ومن الحكمة أن تجنب نفسك مواطن الشطط والزلل، ولا توردها موارد التهلكة؛ فإن آلافاً من الرجال أهلكوا أنفسهم وعملوا على حتفهم من أجل تمتعهم بلذة عارضة تذهب كحلم في لمح البصر. إن الرجال ليفتتنون بأعضائهن البراقة ولكنها سرعان ما تصبح بعد ذلك مثل أحجار "هرست"[1]. والموت يأتي في النهاية.

إذا أردت أن تكون أعمالك حسنة مستطابة، فكن بعيداً عن المساوئ والشرور، وهديء من طباعك، وتجنب الشراهة، لأن هذه رذيلة تقود إلى الهلاك، فهي تفرق بين الآباء والأمهات، والأخوة والأخوات، وتبذر بذور الشقاق والكره بين الزوج وزوجته.

إنها حزمة تجتمع فيها كل أنواع السوء، وجعبة تضم كل شيء مرذول.

---

[1] أى أن الأعضاء الوضاءة تجذب الرجال وتفتهم، بيد أنها، بعد اللذة القصيرة التى تمضى كلمح البصر، تبدو وقد تغير لونها مثل حجر "هرست" الذى يعد رمزاً للكرب والضيق والبلاء.

أما الرجل العادل الذي يسير على صراط مستقيم فإنه يعيش طويلاً، ويحرز ثروة كبيرة، علي حين لا يجد الرجل الشره قبراً له. "كناية عن شدة الفقر ورقة الحال".

لا تكن شرهاً في القسمة، فلا تأخذ منها ما ليس لك، ولا تطمع فيما هو لأقاربك، والكلمة الطيبة اللينة خير من القوة وأجدى.

والطماع يخرج صفر اليدين من بين أقاربه وأخدانه، لأنه حرم موهبة الكلام الرقيق.

وأن القليل الذي يختلس يولد العداوة "حتى" عند صاحب الطبع اللين.

إذا كنت رجلاً عاقلاً فاتخذ لك "فأسس لنفسك" بيتاً وأحبب زوجتك وخذها بين ذراعيك.

أفرح قلبها طول حياتك، لأن مثلها مثل الحقل الذي يعود بالخير الوفير علي صاحبه.

لا تكن فظاً لأن اللين يفلح معها أكثر من القوة، انتبه إلى ما ترغب فيه وإلي ما تتجه نحوه رغبتها وتنظر عيناها واجلبه لها.

وبهذا تستبقيها في منزلك.

أشبع خدمك الأجراء بما لديك، مما أفاءه الرب عليك.

فهذا واجبك، ولو أنه من الصعب إرضاء الخادم الأجير.

فواحد يقول إنه مسرف ولا يعرف الإنسان ماذا يتأتى منه في قابل الأيام.

وفي الغد يقول إنه قانع وباق حيث هو، وعندما تطوق الخدم بفضلك وكرمك يأتون إليك ويقولون "نريد أن نذهب ونتركك"، ألا فلتذهب الرحمة من مدينة يقيم فيها خدم خبثاء تعساء!

أشبع أصدقاءك بما أفاء الرب عليك من خير وحظوة، فالحكمة تقضي بذلك، إذ ما من إنسان يعرف مصيره إذا فكر في الغد.

وإذا حل سوء الطالع بمن كان ذا حظوة فإن أصدقاءه هم الذين يقولون له "مرحباً"، فاستبق لذلك مودتهم لوقت الشدة الذي يتهدد الإنسان.

لا تردد كلاماً قيل في ساعة غضب ولا تصغ إليه، لأنه خرج من بدن أحمته ثورة الغضب، وإذا أعيد هذا الكلام عليك، فلا تستمع إليه، بل انظر إلى الأرض ولا تتكلم بشأنه، فيخجل من هو أمامك ويعرف الحكمة.

وإذا أمرت باقتراف سرقة فعليك أن تتفادى الأمر، لأن السرقة شنيعة طبقاً للقانون.

إذا كنت رجلاً ذا شأن وجلست في مجلس سيدك فثق أن السكوت خير وأجدى لك من الثرثرة في الكلام، ولا تتكلم إلا إذا كان لديك ما تريد أن تقوله حقاً، وحينذاك يجب عليك أن تكون فناناً" لأن الكلام أصعب من أي عمل آخر.

إذا كنت ذا بطش وسلطان، فدعهم يوقرونك من أجل علمك ورقة حاشيتك.

ولا تصمت، ولكن حذار من أن تقاطع أحداً وهو يتكلم، وإياك أن تجيب وأنت في فورة غضب.

إذا كان أمير منهمكاً في عمل فلا تثر ما يعوقه، ولا تغضب قلباً مثقلاً بالهموم.

إنه لينصر عمن يعطله، ولكنه يفضي بدخيلة نفسه إلى من يحبه.

إن تآلف الأرواح هو من الرب الذي يحب خلقه.

انطلق إذن بعد شجار مرير وتصاف مع من كان لك خصماً.

فمثل هذه الأحاسيس هي التي تقوي الحب.

إذا كنت أستاذاً ومربياً تقوم على تعليم ابن أحد النبلاء، فعلمه الأشياء التي تعود عليك بالنفع ودعه يختلط بالناس ويقر بالفضل لأستاذه، إذ أن رزقك يأتيك منه، فأنت من خيره تشبع بطنك وتكسو ظهرك، ودعه يحبك حتى يعمر بيتك ويعلو شرفك.

ولسوف يمد يده في رفق إليك ويعطيك فترضى، ولسوف يغرس حبك في قلوب أصدقائك.

إذا كنت ابن أحد رجال الكهنوت، ورسول سلام بين جموع الناس، فتكلم دون أن تحابي طرفاً، ولا تجعلهم يقولون:"إن شأنه شأن النبلاء، يحابي طرفاً في كلامه".

ولكن هدفك إصدار أحكام دقيقة.

إذا كنت قد تسامحت في سابق الأيام فصفحت عن شخص بغية هدايته، فدعه وشأنه، ولا تذكره بفضلك في الغد.

إذا صرت رجلاً عظيماً، وكنت في وقت من الأوقات صغيراً، وإذا صرت غنياً، وكنت في وقت من الأوقات فقيراً، فلا تتكبر لأنك بلغت هذه المرتبة العالية، فما أنت سوى قيم على الحسنات التي أعطاها الرب لك.

ولست أنت الأخير، فسرعان ما يبلغ سواك المرتبة التي بلغتها فيكون مساوياً لك، يأتيه من الثروة والجاه ما أتاك.

انحن أمام رئيسك، أمام المشرف عليك في شئون الإدارة الملكية، حتى يظل بيتك مفتوحاً، ويستمر رزقك ومرتبك جارياً، ولا تعصه، فإن عصيان من بيده السلطة حماقة وشر مستطير.

لا تسلب منازل المزارعين، ولا تسرق أشياء صديق حتى لا يتهمك في مواجهتك فينقبض قلبك، وإذا علم بأمرك فإنه لن يتوان عن أذاك وضررك.

ما أحمق الخصام بدل الصداقة.

إذا كنت تبحث عن أخلاق صديق فلا تسأل أقرانه عنها، ولكن اختلط به واقض وقتاً معه حتى تختبر أحواله.

تناقش معه بعد زمن، وامتحن قلبه في معرض كلام.

فإذا كشف لك عن ماضي حياتك فقد هيأ لك الفرصة إما لكي تخجل منه أو لكي تكون له صديقاً.

ولا تكن متحفظاً عندما يبدأ الحديث، ولا تجبه بخشونه، ولا تتركه، ولا تقاطعه حتى ينتهي من حديثه، فقد تستفيد مما يقول.

أما إذا أفشى شيئاً يكون قد رآه أو فعل شيئاً يغضبك، فكن حذراً حتى في إجاباتك.

كن سمع الوجه وضاح الجبين مشرق الطلعة مادمت حياً، ولا تحزن على ما فات، والمرء يذكر بأعماله بعد موته.

اعرف جيداً من يعاملك من التجار، فإنه إذا ساءت حالك فإن شهرتك الحسنة بين أصدقائك ستكون لك ذخيرة.

إنها خير من الألقاب ومن الغنى.

فالغنى يزول، وينتقل من شخص إلى شخص، والذكرى الحسنة باقية للمرء مفخرة له.

إن الخلق الحسن يبقى شيئاً مذكوراً.

ألا فلتعلم أن الرذيلة يجب أن تمحق، حتى يتأتى للفضيلة أن تعيش وتبقى.

إذا اتخذت امرأة[١] مهذبة مثقفة يفيض قلبها بالمرح ويعرفها أهل بلدتها فترفق بها ولا تطردها، بل أعطها ما تأكل منه حتى يكتنز جسمها من الطعام.

---

(١) زوجة أو رفيقة.

خاتمة:

وتلي ذلك خاتمة تمتدح ما فى هذه التعاليم من فوائد، ينبغي أن يتناقلها الخلف عن السلف، جيلاً بعد جيل، للانتفاع بما فيها من موعظة حسنة، وقول حكيم.

فإذا استمعت إلى ما سردته عليك، فإن منزلتك سوف تسمو وترتفع، كما ارتفعت منزلة الأجداد الذين ذهبوا في العصور السالفة وخلفوا من الحق كل جليل، وغدت ذكراهم خالدة لا تفنى ولا تزول في أفواه الناس، لأن حكمتهم كانت عظيمة، وكل كلمة من أمثالهم ستبقى كشيء خالد في هذه البلاد، يقتبس منها الأمراء – حين يتكلمون – ما تتحلى به أقوالهم وتزدان.

إن حكمي وأمثالي ستعلم المرء كيف يتكلم، بعد أن يسمعها ويعيها، فيصبح عبقرياً في كلامه، وفي سمعه وطاعته، وسيكون التوفيق من نصيبه، وسيعلوا شأنه وينبه ذكره، وتسمو مرتبته ويصل إلى أعلي عليين، وسيظل فاضلاً كريماً حتى آخر حياته، يملأ الرضى نفسه، وسوف يهديه علمه إلى مكان الأمان، لكي يعيش في طمأنينة وسعادة على وجه الأرض.

وسوف يكون العالم راضياً بما أوتيه من علم، أما الأمير فإنه قلبه سيكون سعيداً، ولسانه مستقيماً.

لأن هذه الحكم والأمثال ستنطق شفتيه، وتفتح عينيه، وتسمع أذنيه، وتوقفه على كل ما هو مفيد لابنه حتى ينصلح حاله، ويستقيم أمره.

ما أجمل طاعة الابن المطيع، يأتي ويستمع مطيعاً.

إنه عبقري في سمعه، عبقري في كلامه، ذلك الذي يطيع كل ما هو نبيل، وطاعة المطيع شيء نبيل.

إن الطاعة هي خير ما في الوجود، إنها تكون الرغبة الحسنة، وما أطيب أن يأخذ الابن عن أبيه ما أوصلته إليه الشيخوخة.

إن ما يريده الرب هو الطاعة، أما العصيان فهو بغيض إلى الرب.

حقاً إن القلب هو الذي صاحبه يطيع أو يعصي، لأن حياة المرء الصحيحة الحقة هي وحي قلبه.

إن من يطيع يطاع.

كم هو جميل أن يطيع المرء أباه، فيصبح أبوه من ذلك في فرح عظيم وأنس مقيم.

ويغدو هذا الابن رقيقاً ليناً عندما يكون سيداً، وكل من يستمع إليه يطيعه، فيصح جسمه، ويوقره أبوه، وتكون ذكراه خالدة في أفواه الأحياء الذين يعيشون على الأرض ماداموا أحياء.

دع الابن بتقبل كلام أبيه، وعلم ابنك على هذا المنوال، لأن المطيع هو رجل كامل في نظر الأمراء.

فإذا تقبل كلامك بقبول حسن وتنبه وأطاع فإن ابنك يكون حكيماً وتكون أعماله موفقة. أما الإهمال فيفضي إلى العصيان، والغبي يجب أن يسحق.

أما الغبي الجاهل فهو لا يطيع ولا يعمل شيئاً، فالعلم والجهل عنده سيان، ويستوي عنده النافع والضار، وهو يقترف الأخطاء فيأتيه اللوم كل يوم.

وهو يعيش كالميت، والكل يعرض عنه بسبب ما يقع عليه من جزاء كل يوم.

والابن الذي يسمع ويطيع هو كأحد أتباع حوريس[1].

يبلغ سن الشيخوخة ويصل إلى أعلي مراتب الشرف والتقدير وهو يردد على أبنائه، وبناته نصائح والده وتعاليمه حتى تظل خالدة متجددة، ينقلها كل أب إلى أبنائه، جيلاً بعد جيل.

وإياك أن تتناولها بالتحريف، فلا تحذف منها كلمة ولا تضيف إليها شيئاً، ولا تضع كلمة مكان أخرى[2].

كن حذراً في الكلام حين يستمع إليك رجل عالم، واحرص على أن تعلو سمعتك في أفواه من يمعك، وإذا دخلت في أمر كخبير فلا تجعل شفتيك تنطقان إلا بما هو حق، حتى يكون مسلكك حسناً.

مهماً يكن قلبك مليئاً يفيض بما فيه من شجون، فخذار أن يتكلم فمك، وليكن مسلكك متزناً عندما تكون بين النبلاء، ولبقا أمام سيدك ومولاك، ولتفعل كل ما يأمر به.

اشحذ لبك "حرفياً: قلبك" حين تتكلم حتى تأتي بكلام يقول عنه النبلاء الذين يصغون إليه:"ما أجمل ما يخرج من فمه".

نفذ وصية سيد ومولاك التي أوصاك بها، فما أجمل نصيحة الأب لابنه الذي أنجبه.

---

[1] أتباع حوريس هم طائفة من الحكام الأسطوريين الذين حكموا مصر بعد حوريس وقبل الأسرات.

[2] أى لا تغير شيئاً من هذه التعاليم والحكم، وهو تحذير لم يحفظ هذا الكتاب من التحوير والتبديل.

حقاً إن الابن النجيب هبة من الرب.

فهو يعمل أكثر مما يؤمر به، ويفعل الخير، ويضع قلبه في كل أعماله.

فإذا وصلت إلى مركزي وقدرت ما أوصيتك به، فسيكون جسمك سليماً معافى، وسيسر الملك بكل ما تعمل، وستبلغ من العمر ما لا يقل عما بلغت من سنوات أمضيتها على الأرض، فقد بلغت العاشرة بعد المائة وأغدق عليك الملك من وفير نعمائه ما يفوق آلاءه على أجدادي، لأني أقمت الحق والعدل للملك حتى شيخوختي".

"لقد انتهى"

"من بدئه حتى نهايته"

"كما في الكتابات القديمة"[١]

---

[١] هذه هى العبارة التقليدية التى تختم بها النسخ المنقولة عن كتب قديمة، وهو بمثابة خاتمة الكتاب.

حكم "كاجمني"

وردت مع حكم "بتاح حتب" في البردية السابقة "أي بردية بريس المحفوظة يالآن في باريس".

والجزء الأول منها مفقود –كما سبق القول – وربما كان يتضمن أن أحد ملوك الأسرة الثالثة، وهو الملك "حوني" قد أمر وزيره بأن يجعل تجارب حياته وخلاصة خبرته في كتاب يستفيد منه أبناؤه، ومن بينهم "كاجمني" الذي أصبح وزيراً فيما بعد.

تعاليم "كاجمني"

في الفطنة والحذر في الحديث:

١– والمتواضع الحذر يحالفه النجاح ويظل سليماً معافى، ومن يتخذ الاستقامة أساساً لعمله يمتدحه الناس، والباب مفتوح للمتواضع.

ومن يكون حذراً وفطناً في الحديث يجد مكاناً رحباً ولكن السكين تشحذ لمن يحيد عن الطريق المستقيم.

آداب المائدة:

١– إذا جلست مع أشخاص كثيرين فاصطنع كراهية الطعام، حتى ولو كنت شديد الرغبة فيه.

إن الأمر لا يستلزم وقتاً طويلاً لضبط النفس.

وإنه لمن المشين أن تكون نهما.

إن قدحاً من الماء يروي الظمأ.

إن طبقاً بسيطاً جيداً يكفيك، بدلاً من طبق فاخر، فالقليل يغني عن الكثير.

تعس هو الرجل الشره من أجل جسده.

٣- إذا جلست مع شخص شره فلا تأكل إلا بعد أن يفرغ من وجبته.

وإذا جلست مع سكير فلا تتناول شيئاً إلا بعد أن يشبع رغبته.

وإذا أعطاك شيئاً فخذه ولا ترفضه فإن ذلك يريحه.

حسن المعاشرة:

٤- إذا كان المرء غير مألوف العشرة، فما من قول يفيد فيه، إنه يقطب وجهه أمام المرحين الذين يحسنون إليه.

وهو نكبة على أمه وأصدقائه، وكل الناس تقول عنه إن فمه لا يستطيع الكلام عندما يخاطبه أحد.

تجنب الزهو:

٥- لا تفاخر وتزهو بقوتك بين من هم سنك، واحذر النزاع والشقاق، فالمرء لا يعلم ما يحدث عندما ينزل الله العقاب.

الخاتمة:

ثم نادى الوزير أولاده بعد أن انتهى من مقاله عن قواعد سلوك بني الإنسان وأحوالهم كما عرفها بنفسه، وقال لهم:

"أصغوا وعوا كل ما أوردته في هذا الكتاب طبقاً لما قلته".

وعندئذ خروا سجوداً على بطونهم، وقرأوه طبقاً لما هو مكتوب، وكان في قلوبهم أحسن من أي شيء آخر في البلاد كلها، وقاموا وقعدوا متبعين ما جاء فيه[1] وعندما وافى جلالة الملك "حوني" الأجل، واعتلى جلالة الملك "سنفرو" عرش البلاد عيَّن "كاجمني" محافظاً للعاصمة ووزيراً.

---

[1] أى أنهم ساروا ونظموا حياتهم حسب تعالمية.

أقوال الحكيم إيبوور

وجدت مسطورة على ورقة بردية محفوظة في ليدن، وقد فقد الجزء الأول منها، وكذلك الجزء الأخير، ولذلك فإن تسلسل الحوادث التي دعت الحكيم إلى كتابة حكمه وأقواله تعد مفقودة بالنسبة إلينا.

وقد أدى ذلك إلى أن بعض العلماء حاول ملء بعض الفجوات بطريقة اجتهادية، ومن ثم فإن النص الذي نذكره هنا لا يعد مؤكداً بصفة قاطعة.

ويبدو أنه قد انتابت البلاد في عصر من عصورها القديمة كارثة – اجتماعية وسياسية – ثار فيها الشعب على الحكام وعلى من بيدهم الأمر، كما ثارت الجنود المرتزقة وهدد الأسيويون الحدود الشرقية للبلاد، وبذلك اختل نظام الحكومة تماماً في مصر، على حين ظل الملك قابعاً في قصره، يشمله هدوء غريب وتنساق إليه الأكاذيب فيصدقها ولا يحرك ساكناً.

وعندئذ يظهر على مسرح الحوادث حكيم اسمه "إيبوور" ربما كان من موظفي الخزانة الذين يعملون في الدلتا، ويبدو أنه وفد على العاصمة بنفسه ليقدم تقريراً للبلاط عن حالة البلاد المالية.

وما من شك في أن الكارثة لم تكن مقصورة على الدلتا، وإنما تعدتها إلى الوجه القبلي أيضاً كما يبدو من سياق أقواله.

وفي هذه الأقوال تصوير بليغ رائع لما وصلت إليه مصر في ذلك العهد من فوضى وفساد، وحض للناس على أن يهبوا للدفاع عن البلاد ضد أعدائها، وتذكير

لهم بالعودة إلى عبادة الآلهة، واستطراد لتوجيه النذر في شجاعة وإقدام إلى فرعون.

ويبدو أن هذه النذر موجهة إلى الملك بيبي الثاني "الأسرة السادسة، حوالي عام ٢٥٠٠ ق.م" الذي طال حكمه إلى ما يقرب من أربعة وتسعين عاماً، وتسبب ضعفه الذي يرجع إلى شيخوخته وكبر سنه في تلك النهاية السيئة للعصر الزاهر للدولة القديمة.

أقوال الحكيم "إيبوور":

هذه الأقوال تتألف من قول منثور، ومن ست قصائد شعرية فيها جوهر الموضوع نفسه. وهي تبدأ بوصف ما حل بالبلاد من فساد.

فيقول: "إن حراس الأبواب يقولون: دعنا نذهب للنهب، والغسال يرفض أن يحمل حمله، وصيادو الطيور استعدوا للقتال، وآخرون من الدلتا حملوا الدروع، من يزاولون أهدأ الحرف كصانعي الحلوى والجعة ثاروا، وصار المرء ينظر لابنه كما ينظر لعدو، وأصبح الرجل الفاضل في حزن وأسى لما أصاب البلاد، وغدا الأجانب مصريين في كل مكان[١].

القصيدة الأولى:

فيها وصف لما حاق بالبلاد من فساد، فالسرقة قد تفشت، والقتل والخراب والجوع قد عم، والكارثة تنشر ظلالها الكئيبة على أرجاء البلاد.

وكل بيت من هذه القصيدة يبدأ بكلمتين هما: "حقاً لقد" يقول الحكيم:

---

[١] يعنى بذلك أن الأجانب الذين يعيشون فى مصر قد أقمحوا أنفسهم فى شئون المصريين منتهزين فرصة هذا الانقلاب العام.

"حقاً لقد شحب الوجه، وقد تنبأ بذلك الأجداد حقاً.. حقاً لقد امتلأت البلاد بالأحزاب والعصابات وأصبح المرء يذهب ليحرث ومعه درعه.. حقاً لقد شحب الوجه، وحامل القوس أصبح مستعداً، والأشرار منتشرون في كل مكان، ولا يوجد رجل من رجال أمس[1]

حقاً إن من ينهبون انتشروا في كل مكان.. حقاً إن النيل يأتي بالفيضان، ولكن ما من أحد يحرث، لأن كل إنسان يقول: "إننا لا نعرف ماذا حدث في البلاد"[2]

حقاً لقد غدت النساء عاقرات. ليت الناس يفنون فلا يحدث حمل ولا ولادة، وليت الإله خنوم لا يشكل الناس بسبب ما أصاب البلاد.

حقاً إن القلوب قد ثارت، والوباء قد انتشر، والدم قد سال في كل مكان.

حقاً لقد أصبح النهر قبراً لرجال كثيرين دفنوا فيه.

حقاً إن الأرض تدور كعجلة الفخاري، واللص أصبح صاحب ثروة.

حقاً إن النهر قد امتلأ بالدم فأصبح الرجل يعاف الشرب منه.

حقاً إن البلاد قد أصابها الدمار، وأصبح الوجه القبلي خاوياً.

حقاً إن أولئك الذين كانوا يرفلون في الثياب غدوا في أسمال بالية، وأصبحت نساء الطبقة الراقية يهمن في البلاد، وغدت سيدات البيوت يقلن: "أما من شيء نأكله".

---

(1) أى رجل ممن كانوا من ذوى المقامات بالأمس.

(2) يعنى أنه ما من أحد يطمئن فى هذه الأوقات المضطربة إلى أن يزرع أو يفلح.

حقاً لقد أصبح العظيم والحقير يقول: "ليتني أموت"، والأطفال الصغار يقولون "ليتنا لم نولد".

حقاً إن الغلال قد انعدمت في كل مكان. وكذلك الملابس والعطر والزيت، ولم يبق أي شيء في المخازن.

إن الأسى يملأ قلبي، ليتني رفعت صوتي في ذلك الوقت حتى كنت أنقذ نفسي من الألم بالذي يعتصرني الآن[1]، فالويل لي، لأن البؤس عمَّ في هذا الزمان.

القصيدة الثانية:

أما القصيدة الثانية ففيها تصوير لمصائب عدة تفوق في هولها ما سبق وصفه في القصيدة الأولى.

القصيدتان الثالثة والرابعة:

لم يبق منهما إلا القليل، وأهم فقراتهما: "إن الدلتا تبكي، ومخازن الملك أصبحت مشاعة للجميع، والقصر لا يحصل على الضرائب المستحقة له من شعير أو قمح أو طير أو سمك، بالرغم مما يستحق له من قماش أبيض وكتان رقيق ونحاس وزيت وحصير وسجاد وما عداها من المستحقات الجيدة".

القصيدة الخامسة:

تتضمن مقدمتها حديثاً عن عبادة الآلهة، وكيف كانت تُعبد فيما مضى، وكيف يجب أن تُعبد في المستقبل. وتبدأ أبياتها بكلمة:"تذكر".

---

[1] ربما يعنى أنه يأسف لأنه لم يجئ قبل ذلك.

وقد ورد في هذه القصيدة:

"تذكر! كيف ينفح بالطيب والبخور، وكيف يقدم الماء من إبريق في بكرة الصباح.

تذكر! كيف يحضر الأوز السمين، ويقدم هو والبط والقرابين المقدسة للآلهة.

تذكر! كيف تقام أعمدة الأعلام وتنقش أحجار القربان ويطهر الكاهن المعابد، ويبيض بيت الله كاللبن، ويعطر الأفق "أي المعبد"، ويخلد خبز القربان.

تذكر! كيف تُراعى القواعد وتُنظم أيام الشهر.

تذكر! كيف تنحر الثيران، ويوضع الأوز على النار ويقدم قرباناً.

ويلي ذلك جزء كبير غامض تعتوره بعض الفجوات الكثيرة. وأهم ما هو ظاهر فيه ما يلي عن الحاكم العادل:

"إنه يطفيء لهيب "الحريق الاجتماعي" ويقال عنه إنه راعي كل الناس، ولا يحمل في قلبه شراً، وحينما تكون قطعانه قليلة العدد فإنه يصرف يومه في جمع بعضها إلى بعض. فأين هو اليوم؟ هل هو بطريق الصدفة ينام؟

ثم يستطرد الحكيم إلى بيت القصيد، وهو توجيه النذر إلى الملك نفسه، فيقول:

"لديك الحكمة والبصيرة والعدالة، ولكنك تترك الفساد ينتشر في البلاد، والمعارك يستعر أوارها، والواحد يضرب الآخر، لقد كذبوا عليك، فالبلاد تشتعل

كالقش الملتهب، والناس على شفا الهلاك.. وهذه السنوات كلها سنوات حرب أهلية".

القصيدة السادسة:

وفيها وصف للوقت السعيد الذي يدخره المستقبل.

"على أنه من الخير أن تسير السفن متجهة إلى الجنوب.

على أنه من الخير أن تبني أيدي الرجال الأهرام وتحفر البرك، وتقيم للآلهة مزارع فيها أشجار.

على أنه من الخير أن يبدو الفرح في أفواه الناس.

على أنه من الخير أن تكون الأسرَّة وثيرة، ومساند رؤوس العظماء تحميها التمائم، ويهيأ لكل إنسان سرير خلف باب مغلق، فلا يحتاج إلى النوم في الأعشاب".

تعاليم خيتي بن دواوف لابنه "بيبي"

ظلت هذه التعاليم زمناً طويلاً تعرف باسم تعاليم "دواوف" إلى أن ظهر أخيراً أن اسم كاتبها هو "خيتي" بن "دواوف" وأنه كتبها لابنه المدعو "بيبي".

هذه التعاليم كانت شائعة في مدارس الدولة الحديثة، يتخذها طلاب المدارس تمارين يتناقلونها، وبخاصة في الأسرة التاسعة عشرة "حوالي ١٣٠٠ ق.م" وقد عثر على أجزاء منها مكتوبة على قطع من اللخاف "الأستراكا".

ووجدت كاملة في برديتي ساليه **sallier** وأنسطاسي **Anastasi** المحفوظتين بالمتحف البريطاني.

والنسخ التي وصلت إلينا من هذه التعاليم مليئة بالأخطاء، مما يدل على أن الطلبة الذين نقلوها كانوا في كثير من الأحيان لا يفهمون معنى ما ينقلونه منها، مما جعل ترجمتها أمراً لا يخلو من الصعوبة.

ويبدو من أسماء الأعلام الواردة في هذه التعاليم، أن تاريخا يرجع إلى العصر الممتد بين الدولتين القديمة والوسطي.

تعاليم "خيتي" بن "دواوف":

"تعاليم ألفها شخص يُدعى "خيتي" بن "دواوف" لابنه المسمى "بيبي" عندما سافر إلى العاصمة ليلحق ابنه بمدرسة الكتب، بين أولاد الحكام"

لقد قال له: "إني قد رأيت من ضرب، فعليك أن توجه قلبك للكتب. إني قد رأيت من أطلق من الأعمال الشاقة، فانظر، فلا شيء يعلو على الكتب[١].

وأنت إذا قرأت في خاتمة كتاب "كمت"[٢] فإنك لواجد فيه هذه العبارة: "إن الكاتب ينفسح أمامه كل مجال في العاصمة ولن يعاني فيها فقراً. والرجل الذي يسير وراء رأي غيره لا يصيب نجاحاً[٣].

ليتني أستطيع أن أجعلك تحب الكتب أكثر من أمك، وليتني أستطيع أن أريك جمالها. إنها أعظم من أي شيء آخر.. إن الطالب إذا بدأ في طريق النجاح، فإن الناس تعلي من شأنه ويوفد لتنفيذ الأوامر ولا يعود إلى المنزل ليرتدي مئزر العمل[٤].

إني لم أر نحاتا كلف برسالة، ولا صائغاً أرسل في مهمة، ولكني رأيت صانع المعادن يعمل عند فوهة موقده وأصابعه متيبسة مجعدة مثل جلد التمساح، ورائحته أنتن من رائحة فضلات السمك.

وكل صانع يقبض على الأزميل يصيبه من الإعياء أكثر مما يصيب من يفلح الأرض. لأن حقله هو الخشب وفأسه هو المعدن[٥]. وحين يحل الليل ويطلق سراحه يعمل على ضوء السراج أكثر مما يطيق ذراعاه[٦].

---

[١] المعنى أن الإنسان غير المتعلم تكون حياته كلها ضرباً، على حين أن المتعلم لا يحتاج إلى أن يجهد نفسه فى أى عمل شاق.

[٢] لعله اسم كتاب قديم.

[٣] قد يكون المعنى المقصود أن كل منصب يشغله الكاتب يكون له صلة بالبلاط ومن ثم يكون للكاتب نصيبه فى الأرزاق التى تجري فيه.

[٤] المئزر هنا معناه الثوب الذى يرتديه العامل وصاحب أية حرفة أخرى.

[٥] أى الأزميل.

[٦] أى أنه حتى فى الليل لا يجد راحة من عمله.

والبنَّاء يعمل في كل صلب من الأحجار، وعندما ينتهي منه تكون قد تكسرت ذراعاه وانهدت قواه، فإذا ما جلس عند الغسق يكون فخذاه وظهره قد تحطموا.

والحلَّاق يظل يحلق إلى وقت متأخر من المساء، وهو ينتقل من شارع إلى شارع باحثاً عمن يحلق له، وهو ينهك ذراعيه من أجل لقمة عيش يملأ بها بطنه، كالنحلة التي تأكل وهي تعمل[1].

والتاجر يسافر إلى الدلتا ليحصل على ثمن بضاعته، ويعمل فوق طاقته، على حين يقتله البعوض[2].

وشارب الطوب من طمي النيل، يقضي حياته بين الماشية، ملابسه خشنة جامدة "متيبسة" وهو يعمل بقدميه.

ودعني أعود إلى ذكر البنَّاء الذي يشيِّد الجدران، فهو غالباً ما يكون مريضاً، وملابسه قذرة، ولا يغسل إلا مرة واحدة فحسب.

وهو تعس تعاسة تفوق حد الوصف، فهو كقطعة حجر في غرفة طولها عشر أذرع وعرضها ست أذرع. وأطفاله يضربون ضرباً.

والبستاني يحضر أحمالاً[3] تنوء بها ذراعاه ورقبته، وفي الصباح يقوم بإرواء الكراث، وفي المساء يروي الكروم، فهو أسوأ حالاً من غيره.

---

[1] أى دائب العمل لا يكل ولا يمل كالنحلة.

[2] المنتشر فى مناقع الدلتا بما يحمله من جراثيم وأمراض.

[3] من نتاج الحديقة.

أمَّا الفلاح فحسابه مستمر إلى الأبد[١]، وصوته أعلى من صوت الطائر "أبو"[٢]، وهو أيضاً يناله الإعياء بما يجل عن الوصف، وهو يعيش كمن يعيش بين الأسود، وطالما يعتريه المرض، وعندما يقفل راجعاً إلى منزله في المساء، فإن كثرة المشي تكون قد أنهكت قواه.

أما النسَّاج في مصنعه فأمره أسوأ من أمر النساء[٣]، ففخذاه تكونان على بطنه[٤] فلا يستطيع استنشاق الهواء.

وهو يعطي حارس الباب خبزاً[٥] ليمكنه من الخروج في ضوء النهار".

أما صانع السهام فما أسوأ حاله حينما يخرج إلى الصحراء[٦] فهو يعطي الكثير لحماره ويعطي الكثير لما في الحقل[٧]، وعندما يعود إلى منزله في المساء، فإن السير يكون قد هد قواه.

وحامل البريد؟ عندما يرحل إلى بلد أجنبي، يوصي بأمواله لأولاده، خوفاً من الأسود والأسيويين وحينما يعود إلي بيته يكون السير قد قطعه إربا.

ويالسوء حال الإسكافي، فهو دائم الاستجداء، وما يعض عليه هو الجلد[٨].

---

[١] أى مع مالك الأرض.

[٢] أى أنه يضج دائما بالشكوى.

[٣] أى اللاتى يجلسن أيضاً فى المنازل.

[٤] أى عندما يجلس القرفصاء.

[٥] أى يرشيه.

[٦] يقصد خروجه إلى الصحراء ليصنع رؤوس السهام التى يستعملها من الظران الذى يجده هناك.

[٧] أى لعلف الحمار.

[٨] أى أنه يستخدم أسنانه فى شد سيور النعال التى يصنعها.

والغسال يعمل علي شاطئ النهر، فهو جار قريب للتمساح[١] وصائد الطيور تراه تعساً حينما يرى الطيور في السماء ويقول:

"ليت عندي شبكة هنا" ولكن الله لا يهيء له سبل النجاح.

ودعني أنتقل بك إلى صائد السمك، فإن حرفته أسوأ حالاً. لهو يعمل في النهر حيث تكثر التماسيح، والخوف يعميه.

وهنا يصل الحكيم إلى بيت القصيد، وهو تمجيد مهنة الكتابة فيقول:

انظر فإنه لا توجد مهنة من غير رئيس لها إلا مهنة الكاتب، فهو رئيس نفسه، وإن رحلتي تلك التي أقوم بها معك إلى العاصمة تستهدف الخير لك، وأقوم بها حباً فيك، فإن يوماً تقضيه في المدرسة يعود عليك بالنفع، وما تعمله فيه يبقى مثل الجبال.

وتلا ذلك بعض فقرات غير مفهومة، ونجد من بينها الفقرات الآتية:

"إذا دخلت على رب البيت وكان في منزله مشغولاً بآخر حضر من قبلك، فاجلس ولا تطلب شيئاً".

"لا تتحدث بكلمات خفية، ولا تجعل الكلمات النابية تخرج من فمك"

"إذا أرسلك عظيم برسالة فانقلها وبلغها كما نطق بها، ولا تنقص منها شيئاً، ولا تضف إليها جديداً".

"قانع بطعامك: فإذا أشبعتك ثلاثة أرغفة، وشربت قدرين من الجعة، ولم تكف لإشباع بطنك، فقاوم ذلك الشعور".

---

[١] أي أنه يعرض لخطر التمساح.

من الخير أن تبتعد عن جمهرة الناس وتستمع وحدك إلي أقوال العظماء، ولتتخذ لنفسك صديقاً من أبناء جيلك.

ما من كاتب ينقصه الزاد الوفير، وإن الآلهة لترعاه وتضعه على رأس هيئة الموظفين.

انظر فإن هذا الذي أنصحك به هو ما أضعه أمامك وأمام أولاد أولادك.

التعاليم الموجهة

إلى الملك "مري كارع"

وجدت مسطورة على بردية "لننجراد" التي يرجع عهدها إلى عصر تحتمس الثالث "١٤٧٨-١٤٤٧ق.م" وعلى بقايا ورقة بردية أخرى من العصر نفسه محفوظة في موسكو.

ومع أن النسخة التي وصلت إلينا يرجع عهدها إلى الأسرة الثامنة عشرة إلا أنه ظاهر أن التعاليم ترجع إلى عهد أقدم بكثير.

ونحن لا نعلم عن "مري كارع" أكثر من أنه عاش في ذلك العصر المضطرب الممتد بين الدولتين القديمة والوسطى، وأنه كان واحداً من ملوك هيراقليوبوليس "أهناس".

وكان ملوك الأسرة الحادية عشر يحكمون في طيبة في نفس الوقت الذي يقوم فيه هؤلاء الملوك في أهناس.

وكان أولئك الملوك وهؤلاء "كما نستطيع أن نرى ما هو مذكور في هذه التعاليم، وتؤكده أيضاً بعض النقوش التي عثر عليها في طيبة" يحارب بعضهم بعضاً للاستيلاء على مدينة طيبة "أبيدوس"، فهي بالنسبة لملوك أهناس قلعة باب الجنوب، وهي بالنسبة لملوك طيبة بوابة الشمال، وهي مركز القداسة لدى الجميع، وإثارة الحرب على أرضها تدنيس لها يحمل وزره من يسعى إليه.

ولعل هذا هو ما دعا كاتب هذه التعاليم "والد مري كارع" إلى إظهار ندمه، وخاصة بعد نهب المقابر وانتهاك حرمتها.

واسم والد "مري كارع" الذي يسوق خلاصة تجارب حياته لابنه في هذه التعاليم غير معروف تماماً لنا، وإن كان بعض المؤرخين يظن أنه "نب كاورع".

ولقد كانت الحرب سجالاً بين ملك طيبة وملك أهناس.

ويبدو أن الثاني قد استوى على طيبة "أبيدوس" وجعل منها بوابة للجنوب وسمح الملك الجنوبي لملك أهناس بأخذ الجرانيت من إقليمه لعمل التماثيل وإن توقف عن دفع الضريبة المعتادة التي تشير إلى ولائه وخضوعه.

على أن ملك أهناس ينصح ابنه دائماً بأن يحسن معاملة الجنوبيين.

أما عندما يتحدث عن سكان الشمال الغربي فإنه يذكر أنه أسكتهم وهدأهم حتى حدود الفيوم.

أما عن شرق الدلتا وموجات الآسيويين الرحل فإنه يذكرهم في احتقار كقوم لا يستقرون في مكان ويصفهم بأنهم قوم ليس من السهل هزيمتهم وينصح ابنه بألا يزعج نفسه بهم، وأنهم يحاربون ولا يغلبون ولكنهم كذلك لا يغلبون وهم يفاجئون دائماً بالحروب.

ورغم ذلك نراه ينصح ابنه بأن يكون على أهبة الاستعداد دائماً مقدماً له المثل القديم:"من رغب في الأمن وطمع في السلامة استعد للحرب".

على أن هذه التعاليم لا تقتصر على ذكر الحرب والسياسة بأسلوب يدل على فطنة ذلك السياسي المسن في سياسة البلاد الداخلية والخارجية، بل إنها

تسوق طائفة جليلة القدر من الحكم والأمثال والنصائح، التي تدل على عقل راجح يجعل قائلها من قادة الفكر في عصره.

وفوق هذا وذاك فإننا نجد في غضون هذه التعاليم نظريات دينية لا نجدها في الكتابات الأخرى التي من هذا النوع. نجد الفكر المصري القديم وقد اقترب من عقيدة التوحيد وحاول أن يميز بين الإله العظيم الذي لا تراه الأعين وبن صنم المعبد التقليدي الذي كان يظهر في احتفالات المعبد وتهتف له الجماهير.

مقدمة الكتاب لا يتبقى منها إلا أجزاء نستطيع أن نفهم منها أن الأب الذي يوجه الخطاب إلى"مري كارع" كان هو نفسه ملكاً.

وفي ثنايا الكتاب فجوات طويلة أيضاً تجعل الترجمة والتفسير أحياناً أمراً صعباً.

تمجيد صناعة الكلام:

"كن مفتناً في الكلام، قديراً فيه، مالكاً لناصيته، حتى يعلو شأنك، وينبه ذكرك، فقوة المرء في لسانه، والكلام أقوى من الحرب والقتال[١].

إن الرجل الفطن لا يهاجمه أهل العلم، وهو بفطنته وحسن بصيرته يستطيع أن يتجنب المصاعب، فلا يصيبه الضرر، ولا يلحق به الأذى، والصدق يأتي إليه طائعاً مختاراً مصفى[٢] حسب ما جاء في كلام الأجداد السابقين.

---

[١] ما أشبه ذلك بقولنا إن " القلم أشد بأساً من السيف".

[٢] حرفياً: " معجوناً مختمراً" أى كما يعجن جبز الشعير فى الماء ثم يختمر لتصنع منه الجعة.
ويقصد بذلك أن هذه العملية قد تمت بالنسبة لك، لأن الحق قد اكتمل شكله، ووضع أمامك فى الكتابات القديمة.

انسج على منوال أبائك السالفين الذين سبقوك. انظر! إن كلماتهم لا تزال خالدة تنبض بالحياة فيما خلفوه من كتب.

افتح الكتاب واقرأ ما فيه، واستفد بعلم أجدادك، واتبع تعاليمهم، يصبح المرء عالماً حكيماً مثلهم.

كن محباً للخير، ولكن في حذر ويقظة:

"لا تكن شريراً، فمن الخير أن تكون رحيماً عطوفاً، خلِّد أثر ذكراك عن طريق حب الناس لك، فيحمد الناس الله من أجلك. ويمتدح الناس طيبة قلبك، ويتمنون لك الصحة والعافية.

مجد العظماء، واعمل على سعادة شعبك، فكم هو جميل أن يعمل المرء من أجل المستقبل. ولكن افتح عينيك، فقد يمتلئ المرء بالثقة، ثم يتكشف الزمر عن حسرة لثقة جاءت في غير موضعها".

عن كبار الموظفين:

"ارفع من شأن مستشاريك، واغدق عليهم من الثروة ما يكفيهم، حتى يقوموا علي تنفيذ قوانينك بالعدل، لأن الرجل الغني في بيته لا يميل مع الهوى ولا يتميز، إذ يكون عنده من المادة ما يغنيه[1]، ولكن الرجل الفقير "يعني في وظيفته" لا يتكلم حسب العدالة، لأن الرجل الذي يقول "ليت لي" لا يكون محايداً بل ينحاز إلى الشخص الذي يعطيه رشوة.

إن العظيم يعد عظيماً عند ما يكون مستشاروه عظماء[2]، والحاكم القوي من كانت له حاشية.

[1] أى لا يغربه المال، فلا يقبل رشوة.

[2] إن العظيم من كان مستشاروه عظماء.

لا تقل إلا الصدق في بيتك، حتى يخشاك الأشراف الذين يسيطرون على البلاد، والسيد ذو القلب المستقيم يفلح حاله، لأن داخل البيت "أي القصر" هو الذي يبعث الاحترام في الخارج [١]".

واجبات الحاكم:

"أقم الحق طوال حياتك على وجه الأرض، وواسي الحزين[٢]. ولا تظلم الأرملة، ولا تطرد رجلاً مما كان يمتلكه أبوه. ولا تلحق ضرراً بالقضاة فيما يتصل بمناصبهم[٣] وكن حذراً مدققاً حتى لا تظلم أحداً أو تعاقب دون وجه حق.

"لا تقتل، فالقتل لا يفيد، ولا يعود عليك بأي خير، بل عاقب بالضرب والسجن، وبهذا يستقر الأمر في البلاد حقاً ويستتب، إن الله عليم بالرجل المتمرد الجموح، والله يجازي عسفه بالدم[٤].

ولا تقتل رجلاً تعرف قدره، وتكون قد تعلمت الكتابة معه[٥].

إن الروح تأتي إلى المكان الذي تعرفه، ولا تضل عن الطريق الذي سلكته بالأمس. إن السحر لا يقوى على منعها، ولكنها تأتي إلى أولئك الذين يعطونها ماء[٦].

---

[١] أى أنك إذا كنت قدوة حسنة داخل قصرك فإن موظفيك سيقتفون أثرك فى جميع أنحاء البلاد.

[٢] حرفياً : " هدى الباكى".

[٣] أى لا تعزلهم من مناصبهم إلا لأسباب بالغة الخطورة، كما أن من وجب الحاكم أن يفكل للأبناء المناصب التى كان يشغلها آباؤهم.

[٤] أى دع الله ينتقم منه.

[٥] أى كنت تلميذاً معه فى المدرسة وتعلمت معه القراءة وأنت تجودها وتقرأ بصوت عال كالعادة المتبعة فى"الكتاتيب" حتى الآن.

[٦] ربما كان المعنى أن أرواح القتلى يمكن أن تطاردك دائما، لأنها تستطيع العودة إلى الطريق الذى سلكته بالأمس فهى تعرفه.

التذكير بالعالم الآخر ويوم الحساب:

"إنك تعلم أن القضاة الذين يحاسبون المذنب لا يرحمون الشقي في يوم المحاكمة وفي ساعة تنفيذ الحكم[١]. فتسوء العاقبة عندما يتهمك الإله الواحد العاقل[٢].

ولا تعتمد على طول السنين، فإنهم "أي القضاة" يعتبرون مدة الحياة كإنما هي ساعة واحدة[٣]. إن المرء ليبعث بعد الموت، وتوضع أعماله بجانبه أكواماً[٤] وما يبتغيه المرء هو الخلود هناك "أي في العالم الآخر".

وإنه لغبي ذلك الذي لا يكترث باليوم الآخر. أما من أتاه بعمل صالح لا خطيئة فيه، فسيكون هناك مثواه، يمشي فرحاً مثل الأرباب الخالدين "يعني الأبرار المتوفين".

معاملة الجيل الجديد:

"ارفع من شأن الجيل الجديد، إن مجتمعك مليء بالشباب الناشئ الذين هم في سن العشرين، فضاعف هذا الجيل الجديد وزد من عدد أتباعك منه، وزوده بالثروة والحقول والماشية".

كن عادلا ونشيطاً ونقياً:

"لا ترفع من شأن ابن الرجل العظيم على ابن الرجل الوضيع، بل اتخذ لنفسك الرجل حسب أعماله وكفايته. احم حدودك، وحصّن قلاعك، حتى يكون للجيوش شأنها في الحفاظ على البلاد.

---

[١] ربما كان المقصود أن أرواح القتلى ستهمك فى المحاكمة التى ستجرى فى العالم الآخر، أى يوم الحساب.

[٢] يعنى "تحوت" إله يشرف على المحاكمة فى يوم الحساب.

[٣] المعنى لا تظن أن يوم الحساب بعيد وأنه يأتى سينسى كل شئ إذ إن قضاه الموتى يذكرون ولا ينسون.

[٤] أى كالأكوام أو الجبال.

أقم آثاراً خالدة للإله، لأنها تحيي ذكرى اسم بانيها، وعلى المرء أن يعمل ما فيه صلاح روحه، بإقامة الشعائر الدينية كل شهر، ولبس النعال البيضاء، وزيارة المعبد، والكشف عن الأسرار المقدسة، والدخول في قدس الأقداس، وأكل الخبز في المعبد[1].

املأ موائد القربان، وقدم الخبز الكثير، وضاعف عدد القرابين الدائمة، فإن في ذلك الخيز كل الخير لمن يقوم به. إعل من شأن آثارك ونمها، مادمت تمتلك القوة على ذلك، وإن يوماً واحدا "أي من عمل مجيد" قد يؤدي إلي الخلود، ورب ساعة واحدة تحقق نفعاً للمستقبل. إن الله عليم بمن يعمل من أجله[2]".

وينتهي هذا الجزء من الرسالة بالكلام عن أعداء مصر، ويتطرق الحديث ويتشعب إلى الجزء الثاني الذي ننتقل إليه الآن.

الجزء الثاني:

والجزء الثاني من الرسالة الذي يبدأ بعد ذلك يشير إلى طائفة من المسائل السياسية المختلفة كما يشير إلى ما قام به الوالد من أعمال، وهذا الجزء يبدو غير مكتمل الوضوح بالنسبة إلينا، لأنه يشير إلى أحداث لا نعلم عنها الكثير، ومجمل ما نعمله مما يلي، ومن بعض المصادر الأخرى أيضاً، هو أن سلطان هذا الملك لم يمتد حتى يشمل مصر كلها، وإنما كانت توجد بلاد جنوبية لم تكن تخضع لسلطانه.

---

(1) أى خبز القربان المقدس.

(2) أى أن الله سيحزيك أحسن الجزاء عن كل ما عملته من خير فى حياتك فى سبيل عبادته وإعلاء شأنه.

ويستطرد هذا الملك في حديثه فيقول:

"إن الجيل الجديد يظلم نفسه، وهذا ما تنبأ به الأسلاف، إن مصر تحارب في المدافن، والقبور تنتهك حرمتها[١].

لا تسء علاقاتك مع البلد الجنوبي، أما فيما يتعلق بمدينة "طيبة"[٢] فقد استوليت عليها، ولكني أنصحك الآن بأن تكون رحيماً ليناً، فمن الخير لك أن تنظر إلى المستقبل وتعمل له.

"حسن علاقته مع البلاد الجنوبي، فيحضر إليك حملة الأكياس بالهدايا، لقد فعلت مثلما فعل الأجداد: "وإذا لم يكن لديه من القمح ما يعطيه فقابل الأمر بالرضى ماداموا مستعفين، واكتف بخبزك وجعتك"[٣].

إن الجرانيت الأحمر يأتي إليك هو أيضاً دون عائق[٤]، فلا تلجأ إلى الإضرار بمباني غيرك، بل اقتلع لنفسك أحجاراً من طره[٥].

لا تشيد مقبرتك مما أخذ من مقابر أخرى هدمت.

أعمل الفكر فيما فعلت، وانسج على منواله، فلا يكون لك عدو داخل حدودك".

---

[١] كان انتهاك حرمة المقابر يعد فى مصر القديمة من أشنع ما يمكن أن يفرض على الأعداء، وطالما تعرضيت المقابر فى مصر لمثل هذا الاعتداء فى جميع العصور.

[٢] يبدو أنها كانت تعد الحد الجنوبى للمملكة فى هذا الوقت.

[٣] ربما كان المعنى هو النصح بالتغاضى عن القمح المفروض عليهم تقديمه كجزية، بدلاً من إثارتهم من جديد للقتال.

[٤] كانت محاجر الجرانيت فى الحمامات وأسوان تقع ضمن نطاق البلد الجنوبي، ومن ثم فقد اضطر من لا تقع هذه المحاجر تحت سلطانه إلى سلب الأحجار من المبانى القديمة ليستعملها فى أغراضه. وهذا يفسر ما سيجيئ فى الفقرة التالية.

[٥] محاجر طره كانت مشهورة منذ قديم الزمان بنوع فائق الجودة من الحجر الجيري الأبيض الجميل، الذى يصلح لعمل النقوش عليه.

وما يلي ذلك يتعلق بالأحوال في الدلتا، التي كان جانبها الغربي معرضاً دائماً لغارات الليبيين:

وهذه هي الأجزاء التي يستطاع فهمها من النص:

"ثم قام رجل حاكم في المدينة[١] وقد امتلأ قلبه بالأسي بسبب الدلتا.............

فنشرت السلام في الغرب جميعه حتى حدود البحيرة[٢]، كما كانت الأمور سيئة على الجانب الشرقي للدلتا، فقد انقسمت إلى أقاليم، ومدن، وأصبحت سلطة رجل واحد في يد عشرة، ولكنهم الآن يقدمون كشفاً كاملاً بجميع أنواع الضرائب، ويدفعون الجزية إليك كما لو كانوا عصبة واحدة، وسوف لا يكون بينهم أعداء أشرار، ولا خوف عليك من ألا يجري النيل بالفيضان، فاطمئن بحصولك على حاصلات الدلتا[٣].

وإن الحد الشرقي للمملكة قد أصبح آمناً الآن ضد البدو الآسيويين.

انظر لقد دققت أربطة السفينة وثبتها إلى الشاطئ في الشرق[٤] وأصبحت الحدود من مدينة "هبنو"[٥] إلى طريق حوروس[٦] عامرة بالمدن ومليئة بقوم من خيرة أهل البلاد حتى يدفعوا أسلحة الآسيويين وغاراتهم.

---

[١] ربما يقصد نفسه، إذ من الجائز أن يكون قد وصل إلى السلطة عن طريق دفاعه عن البلاد ضد غارات الليبيين.

[٢] ربما يقصد المستنقعات على شاطئ الدلتا.

[٣] يعنى أن الفيضان قد جاء عالياً، ومن ثم فإن حصيلة الضرائب ستكون وافرة.

[٤] أى وصلت إلى الشرق.

[٥] فى مصر الوسطى.

[٦] على أطراف مصر، عند الفرع البلوزى للنيل، وقد اعتادت الجيوش المصرية أن تبدأ حملاتها من هذا المكان.

"إني توق إلى رؤية رجل شجاع[1] يساويني في هذا، ويعمل أكثر مما عملت.

وهذا يقال أيضاً فيما يتعلق بالبرابرة، أولئك الأسيويون التعساء الذين يعيشون في بلاد سيئة ذات ماء رديء، الوصول إليه صعب بسبب تكاثر الشجر، وطرقها سيئة بسبب الجبال[2]، قوم لا يقيمون في مكان واحد، بل إن أقدامهم في تجوال دائم.

وهم يقاتلون منذ عصر حوروس ولا يقهرون أحداً، ولكنهم أيضاً لا يقهرون، وهم لا يعلنون أبداً عن يوم القتال، شأنهم في ذلك شأن رئيس عصابة اللصوص.

ثم يستطرد إلى ذكر الأجانب فيقول:

"لقد جعلت الدلتا تضربهم، وأسرت أهاليهم، ونهبت ماشيتهم، فلا تجشم نفسك مشقة في شأنهم. ثم يذكر من بين المدن التي عمرها بالأهالي، مدينة "كموي"[3] فيقول:

"انظر! إنها في نقطة مركزية، وقد حصنت جدرانها للقتال، وزاد عدد جنودها، وكثر أهاليها".

ثم ينتقل إلى ذكر إقليم "دد – إسوت" الذي ربما كان يقع على مقربة من منف، فيقول: "إن عدد سكانه عشرة آلاف رجل من المواطنين، يستمتعون بحق

---

[1] هو مطمئن إلى أن ابنه سيحافظ على ثمرة أعماله ومنشئاته.

[2] هذه البلاد المليئة بالأشجار والجبال والتى يسكنها قوم من البدو لابد أن تكون هى فلسطين.

[3] هى تل آتريب فيما بعد.

الإعفاء من الضرائب والمكوس، وكبار الرجال فيه قد تعودوا منذ عصر حوروس علي الذهاب إلى العاصمة.

إنه إذا قامت الثورة على حدودك من جهة البلد الجنوبي فإن الأجانب في الشمال؟ سيبدأون القتال هم أيضاً.

فشيد لذلك مدناً في الدلتا، فاسم المرء لا يصغر بما عمله وإنما يعظم، والمدن الآهلة بالسكان لا يصيبها ضرر.

أقم المدن فإن العدو يفرح إذا ما رأى الضرر يصيب أحداً.

وقد قال الملك "أختويس" في تعاليمه[1]:

"إن من يسكت على إساءة المتبجح يضر بنفسه ضرراً عظيماً وإن الله يهاجم من يسيء إلى المعبد".

ثم تعود الرسالة بعد ذلك فتتحدث عن موضوعات أعم؛ فتقول:

"قدم فروض الطاعة والإجلال لله، ولا تقل إنه ينسى".

والآثار التي أقامها الملوك الآخرون لا تقربها بضرر، حتى لا يجيء ملك بعدك فيضر بالآثار التي أقمتها.

وإنه لا يوجد إنسان ليس له عدو.

---

[1] هذا الملك هو مؤسس الفرع الملكى الذي حكم فى هراقليوبوليس "أهناسيه" وينتسب إليه ملوك أهناس، ومن بينهم مؤلف هذه الرسالة.

ويذكر عنه كتاب الإغريق " إنه كان أفظع من كل من سبقه، وإنه قد أساء إلى كل من فى مصر" ، وطبقاً لما جاء فى الفقرة فإنه يكون قد ألف كتاباً في الحكم والأمثال.

ينبغي على الحاكم أن يكون محيطاً بكل شيء:

"إنه عليم بكل شيء، ذلك هو حاكم شاطئ النهر، وليس هناك ملك طائش، مادامت تقوم من حوله حاشية صالحة[1]، وهو فطن حكيم، منذ اليوم الذي خرج فيه من بطن أمه.

روح التقوى والورع نحو الأسلاف:

إن الحكيم مهنة شريفة، إن الحاكم إذا لم يكن له ولد أو أخ يحيي ذكره ويخلده فلا يمنع ذلك من أن يقوم الحاكم بإحياء آثار غيره.

فكل حاكم يحب أن يفعل ذلك لمن سبقه إذا أراد لما أقامه هو أن يعنى به الخلف الذي يأتون من بعده[2].

انظر! لقد حدث أمر منكر في عهدي: فإن أقاليم "طيبة" قد انتهكت حرمتها، ولقد حدث هذا حقاً نتيجة لما فعلته، ولكني لم أعرف ذلك إلا بعد أن تم عمله[3].

لقد كان هذا شراً؛ فكن على حذر في هذا الشأن، فإن الضربة تقابل بمثلها[4].

---

[1] ربما كان يعنى أن معارف بطانة الحاكم هى تحت تصرفه دائما.

[2] ربما يعنى أن الشخص العادى الذى لا خلف له سرعان ما ينسى، أما الحكام فحالهم أحسن، لأن من واجب الخلف ألا يدعون ذكرى أسلافهم تفنى وتزول.

[3] يعنى أن جنوده قد قاموا بتخريب الآثار فى المدينة المقدسة دون أن يكون له يد في ذلك، وهذا هو انتهاك حرمة المقابر الذي أورد ذكره فيما سبق.

[4] المعنى أن الله يعاقب على مثل هذا العمل السيئ.

الإله والبشر:

"يمر الجيل من الناس، والله العليم بالأخلاق قد أخفى نفسه".

اعبد الإله وعظمه حتى لو اتخذ لنفسه صورة شكلت من الأحجار الكريمة أو من النحاس لأنه كالماء الذي يحل محله الماء[1]، ولا يرضى النهر لنفسه أن يبقى مختبئاً، وإنما يكتسح السد الذي يخفيه[2].

"إن الروح تذهب إلى المكان الذي تعرفه، ولا تضل عن طرقها التي سلكتها في الأمس".

ولذلك جمل بيتك الذي في الغرب "أي قبرك"، وهيئ مكانك في الجبانة كرجل عادل قام بعمل صالح ترتاح إليه القلوب.

إن الله ليتقبل فضيلة الرجل الصالح، وهي أحب إلى قلبه من ثور يقدمه الرجل الظالم.

افعل شيئاً للإله[3] حتى يجازيك بالمثل، بقربان تمتلئ به المائدة، وبنقش يخلد به اسمك.

والله عليم بكل من يعمل شيئاً من أجله.

إن الله قد رعى الناس، وهم قطيع الله، وهو راعيهم.

وقد خلق السموات والأرض كما يرغبون، وخفف من حدة الظمأ للماء، وجعل الهواء لتحيا به أنوفهم. وإنهم لصور منه خرجت من أعضائه، وهو يصعد

---

[1] ربما كان المعنى أنه مادام الإله محتجباً لا تراه الأعين فإن صورته يجب أن تقدم لها فروض الإجلال والتعظيم، والصورة هي بالطبع مجرد بديل أو رمز ولكن فيها الكفاية على أية حال.

[2] ربما كان المعنى أن الإله لا تراه الأعين ويرمز إليه بتمثال من أحجار كريمة أو من نحاس لا يمكن أن يبقى حبيساً في التمثال وإنما يجد لنفسه منفذاً يخرج منه ليظهر قوته.

[3] أي قدم القربان لإله حتى يهيئ لك قبراً حسنا.

إلى السماء حسب رغبتهم. وقد خلق لهم النبات والماشية والطيور والأسماك غذاءً لهم. ولكنه يعاقب كذلك. فقد قتل أعداءه وعاقب أبناءه بسبب ما دبروه عندما انقلبوا عليه[١].

وهو قد خلق النور حسب ما يرغبون، وجعلهم كذلك ينامون وهو يسمعهم عندما يبكون. وجعل لهم حكاماً من الأرحام[٢]، أسناداً تستند إليها ظهور الضعفاء. وجعل لهم من السحر سلاحاً، يتقون به الحوادث.

وهو الذي قتل عاتي القلب فيهم، كما يقتل رجل ابنه أو أخاه.

إن الله عليم بكل اسم[٣].

وتنتهي هذه الرسالة بنصيحة عامة، لا يفهم منها إلا القليل:

"ليتك تصل إلي[٤] دون أن يتهمك أحد.

لا تقتل أحداً ممن يقفون قريبين منك[٥] بعد أن تكون قد امتدحته، والله يعرفه.

دع الدنيا كلها تحبك[٦]

انظر! لقد حدثتك بخير ما في نفسي من أفكار وآراء، فاعمل حسب ما تقرر أمامك".

---

[١] فى هذا إشارة إلى أسطورة هلاك البشر، عندما ثار الناس على إله الشمس لأنه كبر وشاخ وبلغ من العمر عتياً.

[٢] أي حكاماً شرعيين.

[٣] أي بكل إنسان، ومن ثم فإنه يعلم من ينزل عليه العقاب.

[٤] أي فى العالم الآخر.

[٥] ربما كان المعنى ألا يتخلص من أقاربه عندما يعتلي العرش، كما جرت العادة بذلك في الشرق.

[٦] اجعل نفسك محبوباً من العالم أجمع.

تعاليم أمنمحات الأول

لابنه "سنوسرت"

يبدو أن هذه التعاليم كان لها نصيب كبير من الذيوع والانتشار في عهد الدولة الحديثة، فقد عثرنا عليها مكتوبة في أربع أوراق بردية، كما وردت أجزاء منها على نحو تسع قطع من اللخاف "الاستراكا"[1].

ومعظم النسخ التي وصلت إلينا تمارين كتبها طلبة المدارس في عهد الأسرة التاسعة عشرة "حول ١٣٠٠ق.م"، ولذلك فهي حافلة بالأخطاء.

وفي هذه التعاليم تصوير واضح للحوادث التي دعت الملك "أمنمحات الأول" "أحد ملوك الأسرة الثانية عشرة: ١٩٥٥– ١٩٦٥ ق.م" إلى إشراك ابنه "سنوسرت الأول" معه في الحكم، وفيها وصف للمؤامرة التي تعرض لها "أمنمحات" في شيخوخته وواجه فيها الموت، ونحس فيها بأصداء ذلك القلب المتألم تتردد في كل فقرة من فقراتها.

تعاليم "أمنمحات" الأول:

"التعاليم التي ألفها جلالة الملك "سحتب إيب رع" ابن رع "أمنمحات" متحدثاً برسالة صدق لابنه سيد الجميع". إنه يقول:

---

(١) اللخاف " الأستراكا" هى قطع الجرار المكسورة وشظايا وقطع الأحجار الصغيرة التي كانت تستعمل في كتابة الوثائق التي لا حاجة لحفظها كالخطابات الخاصة والحسابات وتمارين الخط والرسم، وفى الأزمنة المتأخرة كانت تستعمل فى بعض المكاتبات الرسمية كتحرير إيصالات دفع الضرائب، وما إلى ذلك.

والسبب في استعمالها أنها كانت في متناول اليد في كل وقت، وضنا بورق البردى الثمين من أن يستعمل في مثل هذه الأغراض البسيطة، وتطلق عليها بالأفرنكية لفظة "أستراكون"، وتجمع على "استراكا" ومعناها بالإغريقية المحار، وهي هذه الوثائق الخفيفة الحمل المكتوبة بالمداد على الفخار أو الحجر.

١ - "أنصت إلي ما أقوله لك، حتي تحسن حكم البلاد، وتسيطر علي العالم، وتحقق الخير الوفير".

٢ - احذر أتباعك، لا تقربهم وأنت بمفردك، ولا تملأ قلبك بآخر، ولا تصاحب صديقاً، ولا تثق في أحد من الأتباع تقربه إليك، فهذه أمور لا فائدة فيها، ولا جدوى منها.

٣ - إن نمت فاسهر على حياتك "حرفياً: قلبك" بنفسك، إذ ليس للرجل أصدقاء في يوم الشدة.

٤ - لقد أعطيت الفقراء وأطعمت اليتامى وساعدت المحتاجين. ولكن أولئك الذين أكلوا خبزي هم الذين ثاروا ضدي، وذلك الذي مددت له يدي هو الذي أساء إلي. وأولئك الذين لبسوا كتاني الرقيق نظروا إلي كخيال، وأولئك الذين تعطروا بعطري دخلوا إلى مخدعي ليغدروا بي.

٥ - إن تماثيلي وصوري قائمة بين الأحياء وأعمالي ذائعة بين الناس[١] ومع كل هذا فقد دبروا مؤامرة ضدي لم يسمع بها أحد وصراعاً كبيراً لم يره أحد[٢]. لقد قاتل الرجال في مكان الصراع[٣] ونسوا ما كان بالأمس[٤]. إن حسن الطالع "الحظ" لا يكون من نصيب من لا يعرف ما يجب أن يعرف[٥].

---

[١] أي أني كنت محترماً مبجلاً في البلاد.

[٢] أي لم يفش أحد بسره إلي.

[٣] حرفياً : فى المكان الذى يتصارع فيه الثيران.

[٤] أي أعمالي المجيدة .

[٥] لعله يقصد نفسه وقد ظل جاهلاً بأمر المؤامرة.

٦ – لقد كان ذلك بعد وجبة العشاء، عندما أرخى الليل سدوله، وانصرفت إلى مخدعي لأستريح بعض الوقت، فرقدت على سريري من شدة التعب، وبدأ قلبي يغفل ونمت، وسرعان ما شعرت بالأسلحة وكأنها تتحرك، وكأن إنساناً يسأل عني فقمت وكأني ثعبان الصحراء.

٧ – وقمت من نومي لأقاتل، وكنت وحيداً بمفردي ووجدت أنها حرب جنود الحرس ولو كنت أسعف بالسلاح في يدي لكنت قد شتت شمل الغادرين الجبناء، ولكن لا شجاعة في الليل، ولم يكن في مقدوري أن أحارب وحدي، فالشجاعة لا تأتي لمن يؤخذ على غرة، ولم تكن أنت معي لتحميني.

٨ – ثم انظر فقد حدثت أمور سيئة، لأني كنت من غيرك[١]، وكان رجال البلاط لا يعلمون أني قد نقلت سلطتي إليك، ولم أعد أجلس معك على العرش[٢]، فدعني أعمل طبقاً لمشورتك، لأني لم أعد أخشاهم، ولكن قلبي لم يفطن إلى تراخي الخدم.

٩ – هل دبر النساء المعركة؟ وهل تربى القتلة داخل قصري؟ وهل خدع الخدم فيما فعلوا[٣].

ولكن النحس لم يمش في ركابي منذ ولدت، كما لم يوجد ند لي في أعمال البطولة.

١٠ – لقد شققت طريقي إلى الفنتين[٤]، وسرت إلى الدلتا، ووقفت عند حدود البلاد، ورأيت مركزها، ووسعت حدود سلطاني بقوتي وشجاعتي.

---

[١] يخاطب ابنه.

[٢] إشارة إلى إشراك ابنه معه العرش.

[٣] يشير إلى محاولة قتله.

[٤] مدينة الحدود الجنوبية.

١١ لقد زرعت القمح، وأحببت الإله "نبر"[١] وحياني النيل في كل واد[٢]. ولم يشعر أحد بالجوع أو العطش في عهدي، وكان الناس راضين عما فعلت وكلهم يقول "لقد أجيبت كل رغبة".

١٢ ولقد أذللت الأسود وقهرت التماسيح[٣] وألقيت بالنوبيين تحت أقدامي، وأبعدت النوبيين الجنوبيين، وجعلت الآسيويين يفرون كالكلاب[٤].

١٣ وأقمت لنفسي بيتاً مزيناً بالذهب، حلي سقفه باللازورد، وكانت لجدرانه أسس عميقة، واتخذت أبوابه من النحاس، ومتاريسها من البرونز، صنعت للخلود، وتتحدى الأبدية.

---

[١] إله الغلال.

[٢] أي وصل النيل إلى أبعد الجهات.

[٣] لعله يقصد بهذا المجاز الشعوب الأجنبية.

[٤] كناية عن الطاعة التامة.

نصائح آني لابنه
"جنس حتب"

يُعد هذا الكتاب محاولة لتقليد كتب الأدب والحكمة في الدولتين القديمة والوسطى، وهو يشبهها أيضاً في أن موضوعه يستهدف النصيحة والموعظة الحسنة، الموجهة من أب لابنه. وإن كان أسلوبه أوقع في النفس، ونطاقه أشمل وأوسع.

والنسخة التي عثرنا عليها من هذا الكتاب محفوظة الآن في المتحف المصري، ويرجع عهدها إلى الأسرة الثانية والعشرين.

ويبدو أن التلميذ الذي قام بنسخها ونقلها عن أصل أقدم عهداً لم يفهم الكثير من محتويات الكتاب، فوقع في أخطاء عدة في كتابة معظم الكلمات، بحيث جاءت جملة بأكملها مضطربة لا يستطاع فهمها، وبالتالي ترجمتها.

وواقع الأمر أن الكتاب قد كتب في الأصل باللغة المصرية الحديثة، هي تختلف بعض الاختلاف عن اللغة التي تعوَّد عليها هذا التلميذ في عصره "في الأسرة الثانية والعشرين"، وأن فارق الزمن الذي يفصل بين العصرين كان له أثره في مقدار فهم هذا التلميذ لما ينقله، ويفسر الأخطاء الكثيرة التي وقع فيها.

ومما هو جدير بالذكر أن متحف برلين يمتلك أدوات كتابة خاصة بتلميذ عاش في عهد الأسرة الثانية والعشرين أيضاً، ومن بينها لوحة كتابة كتب عليها مقدمة هذا الكتاب نفسه، ونظراً إلى أن هذا التلميذ لم يفهم بعض الكلمات فقد

وجد أن الواجب يقضي عليه بأن يضيف إلى هذه الكلمات شرحاً باللغة التي كانت مألوفة لديه وشائعة في عصره.

وهذه هي المقدمة، كما كتبها هذا التلميذ على لوحه:

"فاتحة تعاليم النصح "أي مقدمة التعاليم الوعظية" التي ألفها الكاتب "آنيش "أي التي قام بتأليفها "آني""الذي ينتسب إلى بيت "نفر (كآ) – رع – نزي". وهذا الاسم الأخير يذكرنا باسم مشابه لملك من أواخر الدولة القديمة ويجعلنا نفترض أن مؤلف الكتاب أراد أن يرجع هذا الحكيم إلى ذلك العهد، بالرغم من أنه أعطاه، هو وابنه، أسماء خاصة بالدولة الحديثة.

فاتحة التعاليم والنصائح التي ألفها الكاتب "آني"

يقول لابنه:

"سأحدثك بكل ما هو حسن، لكي يعيه قلبك، فاتبع ما أقول، حتى تكون محمود السيرة، بعيداً عن كل شر، ويقول عنك الناس إنك على خلق عظيم، ولا يقولون "إنك فاسد بليد" وإذا اتبعت ما أقول فإنك ستتجنب كل شر وتبتعد عن مواطن الزلل".

التبكير في الزواج والحض عليه:

"اتخذ لنفسك زوجة وأنت صغير حتى تعطيك ابناً تقوم على تربيته وأنت في شبابك، وتعيش حتى تراه وقد اشتد وأصبح رجلاً.. إن السعيد من كثرت ناسه وعياله، فالكل يوقرونه من أجل أبنائه[1].

---

[1] يحرص الفلاحون فى القرى حتى الآن على الإكثار من الأولاد والنسل حتى يكون لهم أسرة كبيرة وذرية، وهم يبكرون فى الزواج بدرجة يستغربها الكثيرون. وهذه العبارات التى يوصى بها " آنى " ابنه هى بألفاظها ومعانيها ما نسمعه كل يوم من أفواه المسنين من الفلاحين يوصون بها أولادهم ليل نهار.

آداب الزيارة:

"لا تكن سليطاً ولا متطفلاً، ولا تدخل بيت غيرك، وعندما تكون في منزل أناس آخرين وترى عينك شيئاً فالزم الصمت ولا تبح به لأي شخص كان في الخارج، حتى لا تكون لك جريمة كبرى عندما يصل أمره إلى الأسماع".

التحذير من النساء وارتكاب الفاحشة:

"احذر المرأة الأجنبية المجهولة في بلدتها، لا توجه إليها لحاظك، ولا ترتكب الفاحشة معها، فإنها لجة شاسعة عميقة لا يعرف تيارها.

إن المرأة البعيدة عن زوجها تقول لك كل يوم: "إني جميلة" وعندما لا يكون هناك رقباء فإنها تقف وتلقي الشباك لتوقعك في حبائلها.

ما أشدها خطيئة تستحق الموت إذا استمع الإنسان إليها".

تجنب كثرة الكلام:

"لا تكثر من الكلام، فالصمت خير لك، ولذلك فلا تتحدث ولا تكن ثرثاراً".

وكن قبل كل شيء حريصاً على كلامك، إذ أن "هلاك المرء في لسانه. إن جسم الرنسان أوسع من مخزن للغلال، وهو مليء بجميع أنواع الإجابات، فاختر منها إجابة جيدة وقلها، واحتفظ بالخبيث منها حبيساً في جسمك".

تقوى الله:

"بيت الله يدنسه الصخب. ادع بقلب ودود ربك ذا الكلمات الخفية، فينجز ما تطلب، ويسمع ما تقول، ويقبل ما تقرب".

"اعـرف قيمـة ربـك، واحتـرم اسـمه، وقـدم قربانـك لـه، ولا تتعـدى علـى حقوقه".

البر بالأبوين[1]:

"قدم الماء لأبيك وأمك اللذين انتقلا إلى قبرهما في الصحراء.

وإياك أن تغفل هذا الواجب، حتى يعمل لك ابنك بالمثل".

التحذير من الخمر:

"لا تفـرط بشـرب قـدر كبيـر مـن الجعـة، فأنـت إذا تكلمـت خرجـت عبـارة أخـرى "غيـر التـي تريـدها" مـن فمـك، وإنـك لتسـقط فتتهشـم أعضـاؤك، ولا يمـد إليك أحد يده، ويقوم رفقاؤك ويقولون: "ألا بعدا لهذا الأحمق".

وإذا جاء من يبحث عنك ليستجوبك فإنهم يجدونك على الأرض ملقى مثل طفل صغير".

التذكير بالموت:

"أقم لنفسك قبراً يثوي فيه جثمانك فذلك أمر جليل.

لأن رسول الموت سيأتيك، وإذا أتاك فإنك لن تستطيع أن تقول له:"إني مازلت صغيراً"، فإنك لا تعرف متى تحين منيتك، فالموت يأتي على حين غفلة، وهو يخطف الطفل الذي يرقد بين ذراعي أمه، كما يختطف الرجل الذي بلغ من الكبر عتياً".

---

[1] يقول الله تعالى فى كتابه الكريم:" وبالوالدين إحساناً"

اختبر الصديق وتخيره:

"ابتعد عن الرجل الشرير، ولا تتخذ منه صديقاً، وتخير إخوانك بعد أن تبلوهم وتتحقق من صدقهم واستقامتهم، وتجنب من كل سيء السيرة".

لا تغتر بالمال، فإنه لا يجلب السعادة:

ولا تعتمد على مال غيرك:

"قد تملك قطعة أرض أحيطت بسياج جميل من الأزهار وتنمو فيها أشجار الجميز، وقد تمتليء يدك بأجمل الأزاهير وأنضرها، ومع ذكل فقد تكون شقياً... لا تتكل على مال غيرك، ولا تعتمد على ما يملكه إنسان آخر".

احترام الغير:

"لا تجلس، على حين يقف من هو أكبر منك سناً أو أرفع مقاماً".

الأدب ومكانته في المجتمع:

"إذا كنت راسخاً في الأدب فإن الناس ستعمل بكل ما تقوله لهم".

"ادرس الأدب "الكتابة" وضعه في قلبك، فيطيب كل ما تقول".

"إذا عين الكاتب في وظيفة فإنه سيرجع حتماً إلى الكتب حتى يحالفه النجاح".

فضل الأم:

"إذا ما ترعرعت واتخذت لك زوجة وبيتاً، فتذكر أمك التي ولدتك ثم أنشأتك من جميع الوجوه، لا تدعها تلومك وترفع أكفها إلى الله فيسمع شكواها. فهي قد حملتك طويلاً تحت القلب عبئاً ثقيلاً، وبعد أن انتهت شهورك

وولدت حملتك، وكان ثديها طوال ثلاث سنوات في فمك، وهكذا ربتك وأنشأتك دون أن تشمئز من قذارتك، وبعد أن دخلت المدرسة لكي تأخذ دروساً في الكتابة بقيت ترعاك في كل يوم بالخبز والجعة من بيتها.

الرحمة والبر بالناس:

"لا تأكل الخبز في حين يقف آخر على مقربة منك دون أن تمد يدك إليه بالخبز، فهناك الغني وهناك الفقير، ومن كان في السنة الماضية غنياً صار في هذه السنة ضارباً في الآفاق، أي فقيراً".

دوام الحال من المحال:

"إن النهر الذي كان يجري بالماء في العام الماضي قد يتحول مجراه هذا العام إلى مكان آخر".

وإن البحار التي كانت تتدفق بالمياه قد تصبح أماكن جافة.

لا تكن شرهاً:

"لا تكن شرها في ملء بطنك".

آداب الزيارة:

"لا تدخل إلى بيت إنسان إلا بعد أن يؤذن لك بدخوله، ويقول لك صاحبه بفمه "أهلا بك"[١].

---

[١] قال الله تعالى في كتابه المنزل: "يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا" الآية.

حُسن معاملة الزوجة:

"لا تجعل من نفسك رئيساً على زوجك في المنزل، وبخاصة إذا كانت قديرة في عملها، بل لاحظ أعمالها في صمت، وتعرف عليها، وساعدها، وبذلك تتجنب كل خلاف في البيت".

معاملة الرؤساء:

"لا تجب رئيساً وهو غاضب، بل ابتعد عن طريقه.

وإذا خاطبك شخصاً بألفاظ جارحة فخاطبه بكلام عذب، وسكن من ثورته، فللإجابة المثيرة للنزاع ضرب السياط "لقائلها".

فإذا ما مرت ساعة غضبه، فإن الرئيس سيتجه إليك، ويثني عليك، لأن لكماتك المهدئة قد استوعبها القلب".

الحض على العمل والاجتهاد:

"كن مجتهداً، لأن الرجل الذي يظل عاطلاً خاملاً لا يكون شيئاً".

خاتمة الكتاب:

بعد أن انتهى الحكيم "آني" من توجيه نصائحه إلى ابنه، بدأ الأبن يقول: "ليتني كنت مثلك، حتى أسير على هدي نصائحك، ويرقى الابن إلى منصب أبيه. إنك لرجل عالي الهمة، وإن كلماتك لمختارة، تريح قلبي، ويستوعبها عقلي، ويفرح بها فؤادي".



النصائح والتحذيرات
الموجهة إلى طلبة المدارس

كان الآباء في مصر القديمة يشرفون على تربية أولادهم في دور التنشئة، ويعنون عناية خاصة بأن يرسلوهم إلى المدرسة ليتعلموا، لأن التعليم عندهم كان هو السبيل الذي يفتح أمامهم باب مناصب الدولة جميعها، ويحقق لهم أسباب السعادة وسمو الشأن، ويصل بهم إلى أعلى المراتب.

وأقوالهم في تقدير العلم والتعليم كثيرة كما رأينا فبينما يقولون في موضع: "إن الكاتب دون سواه هو الذي يدير أعمال جميع الناس، أما من يكره العلم فإن الحظ يتخلى عنه"، إذ يقولون في موضع آخر عن الجاهل "إنه لا يعرف اسمه أحد، ومثله مثل الحمار المثقل بما يحمله يسوقه الكاتب "أي الرجل المتعلم المثقف" ويوجهه".

وكان عندهم الرجل المحظوظ هو "الذي وضع العلم في قلبه وفضله على كل عمل آخر"، ولهذا فإن خير نصيحة كان يوجهها الأب لابنه – كما قدمنا – هي أن "يعمل ليصير كاتباً، لأنه بذلك يقود جميع الناس". ويكفي البيان تقديرهم للعمل وأهله قولهم عن مهنة الكاتب أنها: "مهنة عظيمة إذا تجلب أدوات كتابته وملفات كتبه البهجة والثراء".

من أجل هذا فإن هذه النصائح والتحذيرات الموجهة إلى طلبة المدارس يعتبرها كثير من علماء الآثار – بالرغم من قصرها وإيجازها – مشوقة إلى حد

كبير، لأنها تستثير الاهتمام بما تتضمنه من وصف للأحوال الاجتماعية في العصر الذي كتبت فيه.

على أنه ينبغي على القاريء ألا يغفل الغرض الذي كتبت من أجله، فإن الصور التي تعرضها هذه النصائح عن سعادة الكاتب وحسن طالعه، وعن سوء حال أصحاب المهن الأخرى وبؤسهم، هي دون شك صورة مغرضة ومبالغ فيها إلى حد كبير.

وهذه النصائح والتحذيرات التي نوردها فيما يلي من صفحات، قد وصلت إلينا ضمن مخطوطات التلاميذ المختلفة من عصر الأسرة التاسعة عشرة.

الحياة في المدرسة[1]:

"إني أضعك في المدرسة مع أولاد العظماء، لكي أربيك، وأعلمك هذه المهنة العظيمة".

انظر! إني أقص عليك كيف يكون حال الكاتب.

تنبه في مكانك، فإن الكتب قد وضعت أمام زملائك.

ضع يدك علي ملابسك، وانظر إلى نعالك، وعندما تتسلم واجبك اليومي لا تكن خاملاً[2].. واقرأ بهمة من الكتاب، وعندما تدير الحسبة في رأسك في صمت فلا تدع كلمة تُسمع.

اكتب بيدك واقرأ بفمك، واطلب النصح ممن هم أنبه منك.

---

[1] من بردية إنساسى : ٥ – ٢٢– ٦ وما يليها.

[2] ربما كانت تمارين الحساب هى موضوع الفقرات الناقصة.

لا تكن متوانياً، ولا تقض يوماً في خمول حتى لا يستولي الغم والحزن على أعضائك وتفهم طرق أستاذك، واتبع تعالميه، وسأكون معك في كل يوم".

كن مجتهداً[١]:

"أيها الكاتب، لا تكن خاملاً، وإلا عوقبت بشدة، ولا توجه قلبك نحو الملاهي وإلا هلكت.

اكتب بيدك واقرأ بفمك واستشر من هم أكثر منك علماً.

اعمل لوظيفة الحاكم، حتى تصل إليها عندما تكبر في السن.

ما أسعد الكاتب الذي يمهر في مهنته ويصير أستاذاً في التربية.

ثابر على عملك كل يوم، وبهذا تمتلك ناصية الكتابة، ولا تقض يوماً في خمول وإلا ضربت. إن أذن الصبي فوق ظهره وهو يسمع عندما يضرب[٢].

وجه قلبك نحو سماع كلماتي، فإنها ستعود عليك بالنفع.

إن حيوان "كاري"[٣] يتعلم الرقص، والخيل يكبح جماحها، والحدأة توضع في عش، وجناحاً الصقر يربطان[٤].

وثابر على طلب النصحية، ولا تتراخى في ذلك، ولا تمل الكتب.

ووجه قلبك إلى سماع كلماتي فإنك ستجدها عظيمة الفائدة.

---

[١] من بردية إنسطاسى : ٣٠ – ٣– ٩ وما يليها، ونفس البردية ٥ – ٨ – ١ وما يليها.

[٢] أى أن الصبى عندما يضرب على ظهره فإن أذنه ستسمع.

[٣] حيوان إثيوبى يرد ذكره كثيراً كمثال لما يمكن الوصول إليه عن طريق التدريب والتعليم.

[٤] المعنى أنه إذا كان المرء يستطيع أن يروض كل هولاء، فإنه يستطيع ذلك منك أيضاً.

نصائح معلم إلى تلميذه[١]:

كتب معلم ونفسه مليئة بالأسف إلى تلميذه، وقد بلغه أنه يسير وراء نزواته، يقول:

"لقد بلغني أنك أهملت دراستك "الكتب" وأنك تتسكع من طريق إلى طريق.

وأن رائحة الجعة "تفوح من فمك".

والجعة قد أبعدت الناس عنك.

وأنها قد ساقت روحك إلى الهلاك.

إن مثلك[٢] مثل المجذاف المحطم في السفينة الذي لا يتجه إلى أية ناحية.

إنك مثل هيك من غير إله.

ومثل بيت لا خبز فيه

لقد قابلك الناس وأنت تتسلق أحد الجدران وقد هشمت لوحاً.

والناس يهربون منك.

وأنت تضربهم وتحدث بهم جراحاً".

ألا تعلم أن الخمر إثم، فتقسم ألا تقربا وألا تسلم قلبك لإناء الخمر وأن تنسى الشرب.

---

[١] عن بردية إنسطاسى ٤ – ١١– ٨ وما بعدها ، وبردية سالبيه ١ – ٩– ٩ وما بعدها.

[٢] أى عندما تسكر وتنتشي من الشرب.

لقد تعلمت الغناء على الأرغول واستعمال المزمار والعزف على الكنارة والشدو على العود.

لقد تعودت على الجلوس في البيت، تحيط بك العذارى والغواني وتقعد بينهن وتقوم.

وتجلس أمام الغانية وترش بالعطور وتتدلى من جيدك "رقبتك" عقود الأزاهير وتطبل على بطنك.

ثم تترنح وتسقط على بطنك وتلطخك الأوساخ..

وضع التلميذ في القيود[١]:

"لقد بلغني أنك تسير وراء نزواتك، ولا تتبع نصائحي، لأن الصمم قد استولى على عقلك".

إن قدمك ستتعثر، وأنت تسير في الطريق[٢]، وستضرب سوط فرس النهر.

بيد أني قد رأيت من أمثالك الكثيرين، ممن كانوا يجلسون في المدرسة ويقولون: "إن الكتب لا قيمة لها على الإطلاق، ومع ذلك فقد صاروا كتاباً، تذكر أسماؤهم ويكلفون بالمهام.

ذلك بأنك إذا نظرت إلي عندما كنت صبياً مثلك، لوجدتني أقضي وقتي والأغلال من حولي تربط أعضائي، ولبثت كذلك ثلاثة شهور مسجوناً في المعبد، على حين كان أبي وأمي وإخوتي في الريف، وعندما رفعت الأغلال والقيود عني، وأطلقت يدي تفوقت على زملائي في العلم.

---

[١] عن ورقة انسطاسى البردية: ٥ – ١٧ – ٣ وما بعدها.

[٢] أى تتسكع فى الطريق.

فافعل ما قلت لك، فيصح جسدك وتصبح وتمسي ولا رئيس عليك".

تمجيد مهنة "الكتابة" وتفضيلها على سائر المهن:

في النصائح التالية يمجد الأب مهنة الكتابة والأدب، ويذكر ابنه بفضلها وخيرها وجلال قدرها، ويتناول المهن الأخرى فيبين له مساوئها وشرورها وهوان شأنها، وينتهي بترغيبه في الكتابة والاشتغال بها، وينصحه بالبعد عن سائر المهن الأخري. لا تكن فلاحاً[١]:

لقد بلغني أنك هجرت الكتابة، وانهمكت في الملاهي، وصممت على العمل في الحقل، وأدرت ظهرك لكلمات الإله[٢].

ألم تفكر في حال الفلاح عندما يسجل المحصول[٣]. لقد أكل الدود نصف القمح، والتهم فرس النهر ما تبقى، وامتلات الحقول بالفيران، ونزلت فيها أرجال الجراد، والماشية تلتهم ما فيها، والطيور تسرق منها، فويل للفلاح.

والباقي الذي يوضع في الجرن ينتظره اللصوص للإجهاز عليه، بعد أن تكون الآلة المصنوعة من النحاس قد تحطمت، وزوج الخيل قد مات عند الحرث والدرس.

وها هو الكاتب يرسو على الشاطئ ليسجل المحصول[٤] ومعه العمال يحملون عصيا والزنوج الحراس يحملون جريد النخل ويقولون: "أحضر القمح"،

---

[١] عن بردية إنسطاسى ٥ – ١٥ – ٦ وما بعدها، وبردية ساليبه ١ – ٥– ١١ وما بعدها.

[٢] أى الكتابة الهيروغليفية والنصوص القديمة.

[٣] أى عندما تخصم منه الضرائب.

[٤] أى ليحصل على الضرائب.

"ولا قمح هناك"، وعندئذ يطرح الفلاح أرضاً ويضرب، ثم يكبل بالقيود ويلقى في النهر، وتوثق امرأته كذلك أمامه، ويوضع أولاده في الأغلال، ويتركهم جيرانهم ويفرون، ليهتموا بأمر غلالهم[١].

بيد أن الكاتب هو الذي يرأس أعمال جميع الناس، وهو معفي من الضريبة، لأنه يدفع الجزية من الكتابة، ولا يكون مستحقاً عليه شيء. فافطن إلي ذلك".

أيها الكاتب: انزع من فكرك أن الجندي أحسن حالاً من الكاتب".

لا تكن فارساً[٢]:

"وطِّن نفسك على أن تكون كاتباً حتى تستطع أن تدير أمور العالم كله".

تعالى ودعني أحدثك عن مهنة تعسة، هي مهنة ضابط العربات إنه يوضع في الإصطبل[٣] بسبب أب والدته[٤] ومعه خمسة عبيد، منهم اثنان خصصا لمساعدته.

وهو يسرع ليحضر الجياد من الإصطبل في حضرة الملك.

وعندما يحصل على جياد طيبة يفرح وينشرح قلبه ويحضر بها إلى مدينته ويطأ أرضها بفخر، وهو سعيد بذلك، ولكنه لا يعرف مصيره.

وهو ينفق ثروته التي ورثها عن أبي أمه (جده) ليحصل على عربة، يكلفه عريشها ٣ دين والعربة تكلفه ٥ دين[٥].

---

(١) أي ليضعوها في مكان أمين.

(٢) عن بردية إنسطاسي ٣ – ٦ – ٢ وما بعدها.

(٣) الخاص برجال عربات الملك، أي في ثكناتهم.

(٤) أى تقديراً لأسرته الطيبة.

(٥) الدين يساوى ٩١ جراماً أى ٢٧٣ ، ٤٥٥ جراماً، وهو مقدار كبير إذا كان المقصود هنا الفضة.

وهو يلبس نعاله ويسرع في ركوبها "أي العربة" وينطلق بها[1]، ولكنه يضطر لتركها في الغابة، ثم تدمى قدماه بالنعال وتخترق الأشواك قميصه فتمزقه.

وعندما يجتمع الجنود فإنه يعذب عذاباً شديداً، ويضرب على الأرض مائة جلدة". لا تكن جنديا، ولا كاهناً، ولا خبازاً[2].

"كن كاتباً فتعفى من السخرة، وتحمي نفسك من كل عمل "شاق"، فالكاتب يتخلص من العزق بالفأس، ويكون في غنى عن حمل السلة. إن مهنة الكتابة تخلصك من تحريك المجذاف، ولا تسبب لك هماً ولا نكداً، ولا يكون لك فيها رؤساء كثيرون.

وإن الرجل إذا خرج من رحم أمه "أي ولد" فسرعان ما يعرض أمام رئيسه، فيصبح الولد تابعاً للجندي، والشاب مقترعاً، والرجل المكتمل فلاحاً، ورجل المدينة سائساً، والأعراج بواباً، وقصير النظر طاعماً للماشية.

والكاهن يقف هناك كفلاح، والكاهن المطهر يعمل في الترعة[3]........ ويبتل في النهر، ولا فرق عنده بين الشتاء والصيف، سواء أمطرت السماء. أم هبت الريح.

والخباز يقف ويخبز، ويضع الخبز على النار، ويمد رأسه داخل الفرن على حين يمسك ابنه بقدميه، فإذا يحدث أن انزلق الخباز من يد ابنه فإنه يسقط في اللهيب.

---

[1] ربما كان المقصود هنا هو الانطلاق إلى الحرب فى البلاد الأجنبية التى تكثر فيها الجبال وعندئذ لا يستطيع ركوب العربة دائما بل يضطر أخيراً إلى تركها.

[2] عن بردية ساليبه ١ – ٦ –٩ وما بعدها ، وبردية إنسطاسى "مع بعض اختلافات" ٢ – ٦–٧ وما بعدها.

[3] حتى الكهنة لم يعفوا من السخرة.

ولكن الكاتب يدير كل عمل في هذه البلاد.

كن موظفاً[١]:

"لا تدع قلبك يهتز كأوراق الشجر أمام الريح، ولا تجعل قلبك ينهمك في الملاهي فإنها لا تفيد ولا خير فيها للإنسان".

وعندما يشتغل المرء "بيده"[٢] ويكون من نصيبه أن يعمل في مجلس الثلاثين[٣] فإنه يشتغل ولا يجرؤ على النوم، لأن العمل الشاق يقوم من أمامه. ولا خادم يحضر له الماء، ولا نساء يصنعن له الخبز، على حين أن رفاقه[٤] يعيشون على حسب ما يبتغون، والخدم يعملون بدلاً منهم[٥]، ولكن الرجل الذي لا عقل له يقف هناك ويشقى، وعيناه تنظران في حسد إليهم[٦].

من أجل ذلك تبصر أيها الشقي، أيها العنيد الذي لا يسمع عندما يساق النصح إليه.

أسرع إلى تلك المهنة[٧] بسرور، فإنها هي التي تدير مجالس الثلاثين[٨] ورجال الحاشية الملكية.

وإني أرجو أن تفطن لذلك.

---

[١] عن بردية ساليبه ١ – ٥ – ٤ وما بعدها.

[٢] أى يزاول عملاً يدوياً.

[٣] هيئة كبار الموظفين.

[٤] الذين كانوا زملاء له فى المدرسة وأصبحوا كتاباً.

[٥] أى يحملون عنهم مشقة العمل المنزلى، وأعمال السخرة فى الجسور .. إلخ.

[٦] إلى زملاء المدرسة الذين أصبحوا كتاباً.

[٧] أى مهنة الكتابة.

[٨] يبدو أنه كانت توجد عدة مجالس من هذا النوع.

تعاليم أمنموبي

لابنه "حور ماخر"

وجدت هذه التعاليم مكتوبة على ورقة بردية محفوظة الآن في المتحف البريطاني.

وقد ظلت هذه الورقة منذ عام ١٨٨٨ منسية تماماً، إلى أن بدأ علماء الآثار منذ عام ١٩٢٢ في الاهتمام بأمرها، فتولوا شرحها وترجمتها والتعليق عليها عدة مرات.

تاريخ البردية:

ونحن إذا أردنا تحديد التاريخ الذي ترجع إليه هذه البردية فإننا نجد آراء العلماء قد اختلفت كثيراً. غير أن القول الراجح يرجع عهدها إلى العصر الممتد بين الأسرتين الحادية والعشرين والثانية والعشرين.

شهرة هذه التعاليم:

وهذه التعاليم تشبه إلى حد بعيد تعاليم "آني" من حيث الموضوع واللغة، ومن حيث الذيوع والانتشار.

فقد بلغت تعاليم "أمنموبي" من الشهرة حداً جعلها تستعمل ككتاب للمطالعة والتمرين في المدارس في عصر الدولة الحديثة، شأنها في ذلك شأن تعاليم "آني".

من هو أمنموبي؟.. ولمن كتبت هذه التعاليم؟

ونحن نعلم من مقدمة هذه التعاليم أن "أمنموبي" هو ابن "كانخت". وأن "أمنموبي" كان له ولد هو "حور ماخر"، وهو الذي كتب له والده هذه التعاليم.

مقدمة التعاليم والغرض منها:

وقد بدأت هذه التعاليم بشرح الغرض من وضعها، وهو درس الحياة، والإرشاد إلى سبيل الخير والتعريف بقواعد السلوك، وأدب الحديث والمعاملة، ولتمكن من يتفهمها ويستوعب ما فيها من الإجابة على كل سؤال يلقى عليه، والرد على كل أمر يُستشار فيه.

محتويات التعاليم وما تتميز به:

وتتميز هذه التعاليم بما فيها من قوة الإيمان بالخالق، والتسليم بما قدره الله للإنسان، والحض علي الفضيلة، والنهي عن المنكر والبغي، واتباع الطرق السليمة التي يرضى عنها الله، لكي يسعد الإنسان في حياته بما قدره الله له من رزق، وما أسبغه الله عليه من نعمة.

والحكيم يقول إن الله يحب الحق، ويكره الملق والغش، وإن الإنسان عندما يموت، يكون بين يدي الله، آمناً مطمئناً بما قدمه من خير في حياته.

والتعاليم تفيض بما فيها من قوة وبلاغة، وحيوية، ومثل عليا يجب على الإنسان أن يعمل للوصول إليها، حتى يبارك الله له في عمله.

وهي تتحدث عن الرزانة والتواضع، وتنهى عن الاندفاع وحدة الطبع والغضب، وتوصي الإنسان بالصبر "الصمت"، كما نتواصى نحن الآن بالصبر قائلين إن "الصبر مفتاح الفرج" و"إن الله مع الصابرين".

وهي ترسم دستوراً عملياً للحياة، فتشرح واجب الموظف، وتحثه على العدل والإنصاف والرحمة وتحضه على أن يكون أميناً في عمله، مخلصاً له، متسامحاً مع الفقير، بعيداً عن الغش والتدليس.

وهي تضع قواعد للسلوك عالية، فتنصح الإنسان بألا يختلط إلا بمن هو على شاكلته، وأن يوقر الكبير ويحترم العظيم في غير ذلة ولا نفاق، وأن يكون بشوشاً لين العريكة، حسن الضيافة للغريب، رحيماً يهيء سبل الراحة للفقير، وأن يلزم جانب الأدب مع الكبير والصغير، وأن يحترم الناس، ويحفظ لسانه عن قول السوء. فهي نصائح تبصر الإنسان بأحوال الحياة، وتوقفه على عصارة تجارب رجل مسن، خبر الحياة وعرف حلوها ومرها، وأرادت نفسه الطيبة الخيرة أن تسوق النصح لأعقابه، فهو صاحب رسالة عليا لا أشك في أنه قد أبلغها على خير وجه، في قوة وصراحة شديدتين.

تفسير العلماء لها:

وقد ذهب العلماء في تفسير هذ التعاليم والتعليق عليها مذاهب شتى، ومن بينهم عميد علماء الآثار "إرمان" فقد قال: بأن هذه التعاليم كانت مصدراً أخذت منه حكم سليمان عليه السلام.

وقال كثير غيره من علماء الألمان بوجود شبه كبير بين هذه التعاليم وسفر الأمثال، وخرجوا بهذه النتيجة، وهي: أن سفر الأمثال قد استعار أمثاله من تعاليم "أمنموبي" وعقدوا مقارنة بين هذه وتلك، فصلاً فصلاً، ومقطوعة مقطوعة.

وعلى أي حال، فإن العالم الألماني "جرسمان" يقول بنظرية مؤداها أن المدينة والأدب القديم كاناً إرثاً مشاعاً بين الدول المختلفة.

تعاليم "آمنوبي"

المقدمة:

تتضمن مقدمتها تلخيصاً لما ورد فيها، وتعريفاً بمحتوياتها، وحصراً للفوائد التي تهدف إلى تحقيقها، فهي تتضمن: "دروساً في الحياة، وإرشاداً إلى الخير ومجموعة من القواعد التي تتبع في معاملة الموظفين، حتى يتصرف المرء على ضوئها، فترشده إلى سبل الحياة، وتكفل له النجاح في حياته، والراحة لقلبه، وتبعده عن الشر، وتجنبه ألسنة السوء، وتجعل ذكراه حسنة عاطرة في أفواه الناس".

المؤلف:

ثم هي تتحدث عن مؤلفها، فتذكر عنه أنه: "كاتب مصري، ماهر في عمله، اشتغل ملاحظاً للغلال، ومديراً للمكاييل، ومشرفاً على الأطعمة وأن اسمه: "أمنموبي" بن "كانخت".

ابنه:

ثم تنتقل إلى التعريف بابنه الذي وجهت إليه هذه التعاليم، فتذكر عنه أنه "أصغر أبنائه" وتورد الكثير من ألقابه.

الفصل الأول:

ثم يبدأ الفصل الأول بتفصيل واجب التلميذ؛ فعلى التلميذ "أن يفتح أذنيه، ويستمع إلى ما قال، ويتفهمه، حتى يستقر في عقله وقلبه، وتكون له منه ذخيرة في الحياة فيكون النجاح من نصيبه".

الفصل الثاني:

ويتضمن نصائح منوعة. تحذر المرء "من أن يسلب فقيراً بائساً، أو أن يكون شجاعاً أمام رجل مهيض الجناح، وألا يمد يده ليمس رجلاً مسناً بسوء".

الفصل الثالث:

يتناول البحث في الحزم عند إجابة الخصم. فهو يوصي بألا "يشتبك المرء في جدال مع أحمق، وألا يجرحه بالألفاظ، وأن يعرض عنه، ويطيل التفكير قبل أن يتكلم. وإذا تكلم الأحمق في ساعة غضبه، فيجب على المرء أن يتركه وينصرف من أمامه، فإن الله يتولى جزاءه".

الفصل الرابع:

يتحدث عن الرجل الأحمق والرجل الحليم. يشبه الأول "بشجرة نبتت في غابة، تفقد خضرتها في لحظة، ويكون مصيرها مرفأ الأخشاب" على حين يشبه الثاني "بشجرة باسقة في حديقة، تنمو يانعة، تقوم أمام سيدها، وثمرها حلو، وظلها ظليل، وينتهي مصيرها في الحديقة".

الفصل الخامس:

وينقسم إلى ثلاثة أقسام:

أولها: يح على "احترام أملاك المعبد".

وثانيها: "يُذِّكر الإنسان بأن الأمور تتقلب كالنيل".

وثالثها: "توصي المرء بالرزانة والثقة بالله".

الفصل السادس:

ويحذر من التعدي على أملاك الغير، وقد ورد فيه:

"لا تنقل الحدود، ولا تتعدى عليها، ولا تطمع في أملاك غيرك، ولا تغتصب ظلماً في الحقل، لأن الظالم تتخرب أجرانه وتنتزع أمتعته من يد أطفاله، وأملاكه تعطى لغيره".

ومن أبلغ ما ورد فيه:

"إن المكيال الذي يعطيه الله، خير لك من خمسة آلاف تكسبها بالبغي، لأنها لا تمكث يوماً واحداً في المخزن ولا في الجرن، بل تذهب عندما يأتي عليها الصباح".

و"الخبز الذي تكسبه ونفسك راضية به، خير لك من ثروة مع شقاء".

الفصل السابع:

ويتقسم إلى أربعة أقسام:

الأول منها: يحث على ضرورة التسليم لما قدر على الإنسان.

والثاني: عن الثروة التي لا تدوم.

والثالث: عن مزية القناعة.

والرابع: عن صلاة الرجل القنوع.

وهذه أمثلة مما ورد فيها:

"لا تفكر في أمور خارجية، فكل إنسان مقدر له ساعته".

"لا تجهد نفسك في طلب المزيد عندما تكون قد حصلت – بالفعل – على حاجتك".

"الثروة إن أتت لك عن طريق السرقة فإنها لا تبقى، إذ سرعان ما تطير وتختفي".

"لا تئن من الفقر".

الفصل الثامن:

وينقسم إلى ثلاثة أقسام:

أولها: عن أهمية الشهرة الحسنة، فيقول الحكيم عنها: "اغرس طيبتك في جوف الناس[1] حتى يحييك كل إنسان".

والثاني: يحض على اجتناب القول الخبيث، وفي ذلك يقول الحكيم:

"احفظ لسانك سليماً من الألفاظ الشائنة، حتى تكون مفضلاً عند الآخرين، ومحترماً في شيخوختك، وآمناً من بطش الإله".

والثالث: عن حفظ السر، وفي ذلك يقول:

"لا تفضح إنساناً بهتك سره، وإذا عُرض عليك أمر لتحكم فيه، فكون رأيك في نفسك، واجعل الحسن منه علي لسانك[2]، أما القبيح فأخفه في بطنك".

---

[1] أي في أعماق قلوبهم.

[2] أي تلطف في إبداء رأيك.

الفصل التاسع:

وهو يحض على تجنب الرجل الأحمق وسبله، وهذه أمثلة مما ورد فيه:

"لا تخالط الرجل الأحمق، ولا تقترب منه لتحادثه، واحفظ لسانك سليماً عندما تجيب على رئيسك، ولا تذمه، واحذر الاندفاع في الإجابة، فالإنسان يبني ويهدم بلسانه".

والرجل الأحمق:

"يقول قولاً مقذعاً يستحق عليه الضرب، وجوابه مليء بالشر، وهو يثير النزاع بين الأخوة، واللهيب يتقد في جوفه، فحذار من أن تنضم إلى هذا الرجل".

الفصل العاشر:

يتحدث عن الإخلاص. وفي ذلك يقول الحكيم:

"لا تقريء أحداً السلام رياء، وأنت تحقد عليه".

"لا تتحدث بالإفك والبهتان فإن الكذب يمقته الله، وأكبر شئ يكرهه الله هو النفاق".

"كن ثابتاً أمام غيرك من الناس، لأن الإنسان في مأمن، عندما يكون في يد الله".

الفصل الحادي عشر:

يوصي بالقناعة بما ناله الإنسان من نصيب في هذه الدنيا. وهذه أمثلة مما ورد فيه:

"لا تطمع في متاع إنسان، ولا تتطلع "جوعاً" لخبزه، فإن متاع الغير لا خير فيه".

الفصل الثاني عشر:

يعد تكملة للفصل السابق، وقد ورد فيه:

"لا تطمع في متاع شريف، وإذا عيَّنك الشريف مديراً لأعماله فتجنب ما يخصه حتى يثمر ما تمتلكه".

"لا تشارك رجلاً أحمق".

"لا تخالط رجلاً خائناً".

"إياك أن تهتك ستر الرجل في أمر حقير، لأن ذلك يعوق استخدامه مرة أخرى".

الفصل الثالث عشر:

يقول فيه الحكيم:

"لا تضر رجلاً بجرة قلم على ورقة، لأن ذلك يمقته الله، ولا تشهد زوراً، ولا تستعمل قلمك في الباطل، وإذا وجدت فقيراً عليه دين كبير، فسامحه في ثلثيه، وخذ الثلث، ونم بعد ذلك نوماً عميقاً، فإذا أتى الصباح ستجد كل ما فعلته على ألسنة الناس.

إن حب الناس ومدحهم للإنسان خير من الثروة التي في المخازن. وخير للإنسان أن يأكل الخبز وقلبه سعيد، من الثراء الذي يصحبه النكد".

الفصل الرابع عشر:

يتحدث عن الكرامة. فيقول الحكيم: "لا تحترم شخصاً بذلة[1]، ولا تبحث عن مساعدة إنسان، ولا تقبل الرشوة من أحد، ولا تخجل أمام أحد، وتحني رأسك له، ولا تلقي بنظرك إلى أسفل، واقرئ الناس السلام".

الفصل الخامس عشر:

يتحدث عن الكاتب وحاميه الإله "تحوت" إله الكتابة والعلم. فيقول الحكيم:

"لا تغمس قلمك في المداد لتحدث ضرراً لأحد، فإن عيني الإله "تحوت" تراقبان كل شيء حول الأرض، وإذا رأى الإله من يسعى في الشر فإنه يرمي بطعامه إلى اللجة العميقة. والكاتب الذي يحدث الضرر، لا يكون لابنه أي ذكر".

الفصل السادس عشر:

يتحدث عن الموازين المغشوشة والمزيفة.

يقول الحكيم:

"لا تتلاعب بكفتي الميزان، ولا تطفف في الوزن، ولا تنقص من الكيل، فإن الإله تحوت يراقب الميزان. وإذا رأيت إنساناً يغش، فابتعد عنه. وما فائدة ثوب من نسيج كتاني فاخر، إذا كان ضلالاً أمام الله.

وإذا كانت قشرة من الذهب توضع على سبيكة لتظهرها ذهباً خالصاً، فإنها في الصباح تنقلب إلى قصدير".

---

[1] أي لا تفرض على نفسك الذلة لأحد.

الفصل السابع عشر:

يتحدث عن كيل الغلال.

يقول الحكيم:

"لا تسيء في الكيل، وأوف المكيال بالدقة الواجبة. ولا تغش، لأن الإله يمقت الرجل المدلس".

الفصل الثامن عشر:

يتحدث عن ترك الهم.

يقول الحكيم:

"لا ترقد في الليل متخوفاً من الغد، إذ لا يعلم الإنسان ما سيكون عليه الغد. فلله دائماً تدبيره المحكم، والإنسان دائماً تلعب في رأسه الظنون الطائشة. إن الكلمات التي يقولها الناس شيء، والأشياء التي يفعلها الله شيء آخر[١].

"كن حازماً في قلبك، وثابتاً في عقلك، وحافظ على لسانك، لأن لسان الإنسان هو الذي يسيره، ورب العالمين هو القائد".

الفصل التاسع عشر:

يتحدث عن الكلام في المحكمة.

يقول الحكيم:

"لا تدخل قاعة المحكمة وتزيِّف كلامك".

---

[١] أنت تريد، وأنا أريد، والله يفعل مايريد.

ولا تتردد في جوابك، عندما يكون شهودك قد وقفوا.

قل الصدق أمام القاضي، ولا تجعل لأحد سلطاناً عليك".

الفصل العشرين":

يتحدث عن الأمانة في الوظيفة.

يقول الحكيم:

"لا تفسد رجلاً في قاعة المحكمة.

ولا تظلم صاحب الحق.

ولا تهتم بشخص لأنه يلبس ملابس بيضاء ناصعة.

على حين تترك من يلبس الخرق البالية.

ولا تقبل هدية الرجل القوي.

وتظلم الضعيف من أجله.

لأن العدل هبة عظيمة من الله يعطيها لمن يشاء.

لا تستعمل الوثائق المزيفة.

حتى لا تفسد تدبير الإله.

سلِّم الأمتعة لأصحابها، ولا تغتصبها، وإلا هلكت".

الفصل الحادي والعشرون:

يتحدث عن فضيلة الصمت.

يقول الحكيم:

"إنك لا تعرف تدابير الله، ولا تعرف ما يأتي به الغد، فاجلس بين يدي الله، وبالحلم ستتغلب على الجميع.

إن التمساح الصامت يحدث الفزع الشديد في النفوس.

لا تفض بسرك لإنسان، ولا تذع أقوالك لآخرين.

إن الرجل الذي يحتفظ بأخباره في قرارة نفسه خير من الذي يفشيها فيصيبه الضرر".

الفصل الثاني والعشرون:

يتحدث عن أدب المناقشة.

يقول الحكيم:

"لا تتآمر ضد زميلك في المحاورة.

بل انظر ماذا يفعل.

ومن جوابه سوف تفهم.

وكن هادئاً، وعندئذ تأتي معرفتك.

ودعه حتى يفرغ ما في قرارة نفسه.

وخفه، ولكن لا تهمله.

إنك لا تعرف تدابير الله ولا ما يأتي به الغد.

اجلس بين يدي الله[1]".

---

[1] أي اعتمد على الله.

الفصل الثالث والعشرون:

يحض على تجنب أكل السحت.

يقول الحكيم:

"لا تأكل الخبز الحرام.

ولا تكن أول من يلوكه بفمه.

وإذا استرحت إلى مضغ الخبز الذي أتى عن طريق الغبن.

فإن ذلك لا يغنيك. انظر إلى الوعاء الذي أمامك.

واجعله يكفي حاجتك".

الفصل الرابع والعشرون:

يتحدث عن الأمين.

يقول الحكيم:

لا تصغ إلى أجوبة شريف في بيت ثم تنشرها إلى آخر في الخارج.

ولا تجعل كلامك يذاع في الخارج.

حتى لا يتألم قلبك.

وقلب الرجل[١] هو منقار الإله "تحوت"[٢] فاحذر أن تهمله".

---

[١] أى ضميره.

[٢] إله الحكمة.

الفصل الخامس والعشرون:

يتحدث عن احترام العاهة.

يقول الحكيم:

"لا تسخر من أعمى، ولا تهزأ من قزم، ولا تحتقر الرجل الأعرج[١].

ولا تعبس في وجوههم. فالإنسان صنع من طين وقش[٢].

والله هو خالقه.

وهو قدير، يهدي ويبني كل يوم ويخلق الألوف بأمره.

ما أسعد الرجل الذي انتقل إلى الغرب[٣] وهو آمن في يد الله".

الفصل السادس والعشرون:

يتحدث عن معاملة من هم أكبر مقاماً في المجتمع.

يقول الحكيم:

"لا تجلس في بيت الجعة[٤].

ولا تخالط من هو أكبر منك في المرتبة أو أكبر في السن.

---

[١] جاء في القرآن الكريم : " يا أيها الذين آمنوا لا يسخر من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم" الآية؟

[٢] أي كما يصنع اللبن "الطوب المجفف في الشمس – النئ".

[٣] أي مات.

[٤] أي الحانة.

بل صادق من هو في مرتبتك.

ولكن إذا رأيت رجلاً أعظم منك في الخارج وله أتباع وحشم يمشون من ورائه فقدم له الاحترام".

مد يد المساعدة للرجل المسن إذا كان قد ثمل من الجعة.

واحترمه كما يحترمه أولاده.

فالظهر لا يكسر عندما ينحني.

والفقر لا يصيب الرجل.

الذي يقول الشيء السار.

ولا يأتي له الغني.

عندما يكون قوله من القش[1].

أن النوتي الذي يرى من بعد.

لا يتعرض قاربه للغرق".

الفصل السابع والعشرون:

يتحدث عن الخضوع للمسن.

يقول الحكيم:

"لا تسب رجلاً أكبر منك سناً.

---

[1] أى القول الهراء.

حتى لا يشكوك إلى قرص الشمس عند شروقه.

فإنه مما يؤلم الإله رع[١] أن يسب شاب رجلاً مسناً.

فإذا ضربك بيده في صدرك فالزم السكون.

لأنك إذا حضرت أمامه في اليوم الثاني.

فإنه سيعطيك خبزاً لا حصر له".

الفصل الثامن والعشرون:

يتحدث عن كرم الأخلاق.

يقول الحكيم:

"لا تسأل عن شخصية أرملة عندما تقبض عليها في الحقل.

بل تذرع بالصبر في إجابتها ولا تمر على غريب بإناء زيت.

دون أن تجعله يتضاعف أمام إخوانك، إن الله يحب سعادة المتواضع".

الفصل التاسع والعشرون:

يتحدث عن عبور النهر "التعدية".

يقول الحكيم:

"لا تمنع أناساً من عبور النهر.

إذا كان في قاربك مكان.

---

[١] إله الشمس.

خذ الأجر من الرجل الغني.

ورحب بمن لا يملك شيئاً".

الفصل الثلاثون:

هو ختام المقال.

وفيه يقول الحكيم:

"تأمل هذه الفصول الثلاثين.

ففيها متعة وتعليم، يفوقان ما في الكتب جميعاً.

فهي تعلم الجاهل، وتطهر نفسه من الخبائث.

فاستوعبها وضعها في قلبك لتكون بها عليماً، ولأمرها عارفاً.

فإن الكاتب المدرب في مهنته يجد نفسه أهلاً لأن يكون من رجال البلاط".

"هذه هي نهاية المقال".

خـاتمة

هذه هي صفحات من أدب مصر القديم، أدب الحكمة والموعظة الحسنة، سقناها كما وردت مسطورة على أوراق البردي، وقد توالت على هذه الحكم والأمثال والنصائح قرون عدة، تغيرت فيها دول وقامت دول، وزالت حضارات وظهرت حضارات، وبقيت المثل العليا دائماً واحدة، وطرائق الحياة وسبل النجاح فيها واحدة لا تتغير.

ونحن لا يسعنا في العصر الحديث بعد أن قرأنا لحكماء مصر القديمة أقوالهم وتعاليمهم، إلا أن نعجب بما أوتي هؤلاء القوم من حكمة لا تفقد قيمتها ولا روعتها مهما توالت الأجيال وتعاقبت القرون.

فتلك هي حكمة مصر، بل حكمة الشرق، منبع الحضارة، ومهبط الوحي .. والحكمة.

الفهرس

مقدمة	٥
حكم وأمثال "كاجمني" و"بتاح حتب"	١٥
الكتاب الأول : كاجمني	١٧
الكتاب الثاني: تعاليم وأمثال "بتاح حتب"	١٩
من هما كاجمني وبتاح حتب	٢١
حكم كاجمني	٣٩
أقوال الحكيم إيبوور	٤٣
تعاليم خيتي بن دواوف	٤٩
التعاليم الموجهة إلى الملك "مري كارع"	٥٥
تعاليم أمنمحات الأول	٦٩
نصائح "أني"	٧٣
النصائح والتحذيرات الموجهة إلى طلبة المدارس	٨١
تعاليم أمنوبي	٩١
خاتمة	١٠٩